الفصل الثالث

ديوان

الله أكبر

شعر

إبراهيم عزت سليمان

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

* * *

الإهداء

إلى أمي وأبي وإخوتي

إلى الذين عاشوا آلامًا من أجلنا في فترة

عصيبة نحتسبها جميعًا عند الله

إلى من سبقونا إلى الجنة.. وإلى من ينتظر

إلى من تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم

أهدي هذه الكلمات

إبراهيم عزت سليمان

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾

[الكافرون].

* * *

الله أكبر

قصيدة مفعمة بالثقة بالله تبارك وتعالى، يحرك الشيخ فيها الهمم، ويستفز العزائم، وينبه إلى المسؤولية العقيدية والحضارية التي يلتزم بها هو وكل مسلم، يرفع فيها راية: الله أكبر؛ توحيدًا، وعزة، وإحساسًا بأمانة الاستخلاف، وحفزًا لهمم أبناء الأمة، وكأنه يذكر فيه بالصلاة، والجهاد، والاعتصام بالواحد الأحد، ويعلن لكل متكبر أنه لا يهابه؛ لأن (الله أكبر)! أنشدها أبو مازن في إيقاع سريع مليء بالحماسة والقوة [1].

الله أكـــبرُ: بـــسم الله مُجـــريها
الله أكـــبر.. بالتقـــوى سنُرســـيها
الله أكـــبر.. قولوهـــا بـــلا وجـــلٍ
وحققـــوا القلـــبَ مـــن معـــزى معانيهـــا
بهـــا ســـتعلو عـــلى أفـــق الزمـــان لنـــا
رايـــاتُ عـــزٍّ.. نـــسينا كيـــف نفـــديها
بهـــا سُـــتبْعَثُ أمجـــادٌ مبعثـــرةٌ
في التيـــهِ.. حتـــى يـــردَّ الركـــبَ حاديهـــا
الله أكـــبر.. مـــا أحـــلى النـــداءَ بهـــا
كأنـــه الـــرِّيُّ.. في الأرواح يحييهـــا
كأنـــه النـــورُ في الـــدنيا يلألئهـــا
فيـــشرقُ الكـــونُ مـــن أنـــوار باريهـــا
كأنـــه دوحـــةٌ يُطـــوى الهجـــيرُ بهـــا
وهـــا هـــو الظـــل.. آيـــاتٌ يُجَلِّـــيها
كأنـــه القـــصدُ أدركنـــا معالِمـــه

(1) التعليق على القصيدة و مقدمات القصائد التالية كلها، للأستاذ عبد السلام البسيوني.

بعـــد الـــذي كـــان لا تُحكـــى مـــساويها

الله أكـــبر.. كـــم عـــادٍ يعانـــدها

يفنـــى؛ وتبقـــى عـــلى الأفـــواه تنـــزيها

وكـــم حـــسودٍ أتـــى بـــالوهم يهـــدمها

دُكَّـــت معالمـــه.. والحـــق مُبقيـــها

وكـــم خـــؤونٍ يظـــن الـــبطشَ يقهرهـــا

يـــا ســـوءَ مـــا ظـــن حُـــسبانًا وتـــشويها

وكـــم غَـــرورٍ أراد العـــز في نـــسب

أوصـــالُه قُطِّعـــت زورًا وتمويـــها

الله أكـــبر.. أهـــلُ الكفـــر تعرفهـــا

يـــدرون أسرارهـــا.. هـــلاّ ســـندريها

هـــذى جـــراحٌ تبـــدّت لا دواء لهـــا

إلا عـــزائمُ.. كالأقـــدار تَبريهـــا

هـــذى ســـهامٌ تـــرومُ النيـــلَ مـــن كبـــدٍ

آهاتُـــه عزفـــت ألحـــان شـــاكيها

والخـــطبُ أكـــبر مِـــنْ لهـــوٍ نُقارفـــه

والأمـــرُ أكـــبر مـــن دعـــوى نناديهـــا

جِـــدُّوا لأقـــدارها؛ فـــالهزلُ مقـــبرةٌ

بهـــا ســـندفن أحـــياءً ونبكيهـــا

أنـــتم وقـــودٌ لحـــرب ضـــلّ صـــانعها

يُجَمِّـــع الكيـــدَ كـــي يطـــوي غوافيهـــا

أبناؤنـــا طُعمـــة لليـــأس نُـــسْلمهم

ضـــلت معـــالمهم؛ مـــن ذا ســـيجلوها؟

مـــاذا نقـــول لـــربي حـــين يـــسألُنا

عـــن الـــشريعة لم نحمـــي [1] معاليـــها؟

ومـــن يجيـــب إذا قـــال الحبيـــب لنـــا

أذهبتمـــــو ســـــنتي.. والله محيـــــيها؟

إن لم نردهـــــا لـــــدين الله عاصـــــفةً

ســـيَذهب العـــرضُ بعـــدَ الأرض نعطيهـــا

ســـيذهب الـــدين والـــدنيا بـــلا ثمـــن

إن لم نقـــــدم دمانـــــا.. كـــــي نزكيهـــــا

إنَّـــــا عـــــلى عهـــــدنا لله.. نحفظـــــه

حتـــــى نقـــــدم أرواحًـــــا.. ونَـــــشريها

طابـــت نفـــوسٌ تـــروم البـــذل في ثقـــة

مـــن العطـــاء.. لـــربٍّ ســـوف يرضـــيها

لله عـــــزٌّ.. لـــــه ســـــترٌ سيحفـــــظنا

مـــــن كـــــل غـــــائلةٍ تبـــــدو عواديهـــــا

وللرســـول سبـــيلٌ.. لا هـــوان بـــه

فيـــــه المكـــــارم.. للأحبـــــاب يُهـــــديها

لقـــد أتـــى أمـــر ربي.. لا مـــردّ لـــه

إني سأقـــــهر أعـــــدائي.. وأُفنيهـــــا

* * *

(1) الضرورة الشعرية اضطرت الشاعر ألا يحذف حرف العلة لإقامة الوزن ، وصحتها (لم نحـمِ)، ويـرى د.حسن عبد السلام أن تكون (لم نحفظ) الكتاب ص88.

أمـــي

نونية مليئة بالوجع والتجلد والبر، يُطمئْن فيها والدته على حاله ، ويستهين آخر الأمر بسجنه وأغلاله، ويرى ذلك كله هينًا في جنب الله، ويسألها الدعاء بجوف الليل؛ عسى الله تعالى أن يكشف عن المسلمين البلاء، ويؤكد لها أنه عائد إلى الدعوة - ساحته التي هو فارسها - معتزًّا بإيمانه، مواصلاً ما بدأه؛ لا يثنيه الكيد، ولا التربص والإرصاد، ويذكرنا بـ " أَحد، أحد " مقولة بلال رضي الله عنه حين كان تحت سياط الظلمة، ويكرر لبيك، كأنه يَعجَل إلى الله تعالى، على بينة من ربه ويقين:

مـــاذا أقـــول شـــريكةَ الأحـــزانِ؟
جـــودي بفـــيض العفـــو والغفـــرانِ
الـــشدو آهـــاتٌ.. وعـــذبُ معـــانِ
وُلِـــدَت بـــرغم القيـــدِ والـــسجانِ
في غرفـــة مـــصفودة الجـــدرانِ
تربـــو بـــساحتها رؤىً ومعـــانِ
عـــذرًا عـــلى الـــدمع الحبيـــب ذرفتُـــه
فأضـــاء منـــه قـــصائدي وبيـــاني
فلكـــم بكَـــت مـــن أجلِـــه أغلالُنـــا
ولكـــم نمَـــت في ظـــله أشـــجاني
يـــا واحـــة العمـــر الغريـــب تـــضمُّني
وبهـــا أطـــالع في الهـــجير أمـــاني
في ظلهـــا أشـــكو فـــراغ شـــباكِه
وأبـــوح بالمكنـــون في خفقـــانِ
يـــا مـــن بهـــا فرْحـــي غـــدا أنـــشودةً
ولهـــا تُجـــدِّدُ بـــسمة وأغـــانِ
وحنانهـــا دفءٌ يهدهـــدُ غربتـــي
ويـــدٌ تُكَفْكِـــفُ وحـــشةَ الأَحـــزانِ

إني بخيـــــر يـــــا حبيـــــبةُ فاســـــلمي
عـــــينُ الإلـــــهِ تحـــــوطني.. ترعـــــاني
وبذكر من يهب السلامة للورى
أســـــعى إلى الحـــــصن الـــــذي آواني
علمتِنـــــي التوحيـــــدَ في لحـــــن الـــــصبا
ردّدتِـــــه عذبًـــــا سَرى بِجَنـــــاني
والآن جـــــاء الوقـــــت حتـــــى نجتـــــبي
صـــــبرًا.. لنبلـــــغ آيـــــةَ الإحـــــسانِ
اللحـــــنٌ نـــــبضٌ في الفـــــؤاد حفِظتُـــــه
وســـــمعتُه في كربتـــــي.. أشـــــجاني
يـــــا نفـــــسُ : كفـــــي عـــــن ســـــواه لتلزمـــــي
أدبَ المقـــــام بـــــساحة الإيـــــمانِ
إني بخـــــير يـــــا حبيبـــــةُ.. فاهـــــدئي
أشـــــكو إليـــــهِ نبـــــرةَ الكتـــــمانِ
وغـــــدًا نجلجـــــل بالحيـــــاة بمرفئـــــي
ونُـــــرَدُّ في ثـــــوبِ كـــــريم هـــــاني
ولـــــسوف يـــــأذن - إن أراد - بعـــــودتي
وتجـــــود كـــــفٌّ اليـــــسر للظمـــــآنِ
فـــــأرُدُّ بـــــسمَتك التـــــي مـــــن بـــــسمتي
وأبَـــــرُّ نبـــــعَ الخـــــير بالعرفـــــانِ
لنـــــصوغ في عـــــين الـــــضياء حياتَنـــــا
بالأمـــــن.. والتوحيـــــد للـــــديانِ
وبفرحـــــة اللقـــــيا نجفـــــف دمعَنـــــا
طيبًـــــا يفـــــوح بزهرنـــــا النـــــشوانِ
ولـــــسوف تـــــشرق شمـــــسُنا فـــــوق الربـــــا
أقـــــوى مـــــن التكـــــذيب والنكـــــرانِ
وبكـــــل دارٍ نلتـــــقي بمُرَحِّـــــبٍ
يُهـــــدي المـــــودةَ.. زاخـــــرِ الوجـــــدانِ

لا تحـــزني ممـــا يقـــال عـــن الجـــرا
ح [1] ومـــا يقـــال عـــن الـــذي أضـــناني
فـــالجرح يـــبرأ بالمـــساء.. وبالـــصبا
ح لنـــا مـــن الرحمـــن خَلْـــقٌ ثـــانِ
لا تفزعـــي إن رق ثـــوبي في الـــشتا
ءِ.. مـــع الأســـى ونحولـــةِ الأبـــدانِ
فالقلـــب يدفئـــه إلى الله انـــتما
ء.. منـــه تـــذكو جَـــذوةُ الإيـــمانِ
لا تحـــزني إن كـــان زادي معـــدَمًا
فـــالجوع يقهـــر ســـطوة الـــشيطانِ
والـــزاد مـــا نلقـــاه في يـــوم الزحـــا
م غـــداةَ تُزْلَـــفُ جنـــةُ الرضـــوانِ
فِـــرِّي إلى المحـــرابِ بثـــي شَـــكْوَنَا
لله.. في ثقـــةٍ.. وفي إذعـــانِ
صـــوغي الـــدعاءَ مـــدامعًا ومـــدامعًا
تهفـــو إلى غيـــثٍ قريـــبِ دانِ
قـــولي لـــه: ولـــدي لـــديك وديعـــةٌ
نُـــذِرَتْ لتحمـــل رايـــة القـــرآنِ
ذو النـــون في بطـــن الظـــلام حفظتَـــهُ
ســـبحانك اللهـــم، ذا الإحـــسانِ
وحميـــتَ موســـى حـــين أُلقـــيَ عـــاجزًا
في الـــيمِّ يحمـــل آيـــة الـــرحمنِ [2]

---

(1) كنت أرى أن تبقي الكلمة كاملة كما كتبها الشاعر في الديوان ولكن الشاعر عبد الله رمضان أصر على ضبط البحر هكذا.. ووافقه عليه الأستاذ عبد السلام، فلم أجد بداً من موافقتهما.

(2) أشار بعض الدارسين إلى اقتباس الشاعر هذين البيتين من نونية القرضاوي .. وبعض المعاني من (رسالة في ليلة التنفيذ لهاشم الرفاعي) مثل قوله في البيت الثالث (في غرفة مصفودة الجدران) ولكن لا أظن ذلك، وهذا غير بعيد لأن الرفاعي والقرضاوي كتبا عمليهما في الخمسينيات، أي قبل هذه القصيدة بعشر سنين، وانتشرت القصيدتان في الإسلاميين . والموضوع يحتاج إلى تحقيق.

كـــــفُّ العـــــدو تحـــــار في إشـــــراقه

والله يحفظـــــه ببـــــعض حنـــــانِ

لا الكيـــــدُ يجـــــدي لا ولا جنـــــدُ الـــــذي

تغتـــــال سطوتـــــه ذُرا الطـــــوفانِ

ســـــأعود موفـــــورَ الـــــنماء لـــــساحتي

أزهـــــو بعـــــز الواحـــــد الـــــديانِ

وأَتـــــم إن شـــــاء الإلـــــهُ رســـــالتي

حتـــــى أنـــــال شفـــــاعةَ العـــــدناني (1)

أدعـــــو الحيـــــارى المتعَبـــــين لـــــربهم

للواحـــــد القـــــهار.. للمـــــنانِ

يهـــــب الحيـــــاة لمـــــن أراد حياتـــــه

ســـــعيًا لنـــــورِ الله بالإيـــــمانِ

شـــــهدت بوحدتـــــه الـــــسماءُ ونجمُهـــــا

والـــــشمس تجـــــري في حُـــــلى الألـــــوانِ

والبـــــدر ينـــــشر في الظـــــلام ضـــــياءه

هـــــبةً تُزيِّـــــن غُـــــرةَ الأكـــــوانِ

والـــــريح تـــــذكرُه ومُـــــزْنُ ســـــحائبٍ

والطـــــيرُ ســـــبَّحَهُ عـــــلى الأغـــــصانِ (2)

---

(1) كان البيت وأتم إن شاء الله رسالتي.. وبين د. حسن عبد السلام والبسيوني أنه مكسور.. وصحته استبدال لفظ الجلالة (الله) بلفظ (الإله) ليستقيم الوزن وهذا ما أثبته هنا. وكذا العدناني بإثبات ياء النسبة.

(2) كان البيت (وريح تذكره..) والبيت مكسور كما بين د. حسن، وصحته (والريح..).

والغيـــــثُ.. تـــــصنعه يـــــدٌ قدســـــيةٌ

والحـــبُّ ذو عـــصفٍ مـــع الريحـــانِ [1]

في خـــــضرة الأشـــــجار في أثمارهـــــا

في البحـــــر والأمـــــواج والحيتـــــانِ

أَحَـــــدٌ، أرددهـــــا فيـــــسري نورهـــــا

رُوحًـــــا تحـــــرك مـــــوتة الأكفـــــانِ

قـــــدرٌ يحـــــرِّر عبـــــدَها وأسيـــــرَها

قـــــبسٌ يكـــــرِّم غـــــايةَ الإنـــــسانِ

لبيـــــك.. حتـــــى تـــــستجيب دعاءنـــــا

لبيـــــك.. في جـــــدب وفي إحـــــسانِ

لبيـــــك في نـــــبض القلـــــوب حـــــلاوةً

تهـــــب الخلـــــودَ إلى الـــــترابِ الفـــــاني

شـــــوقًا بهـــــا نطـــــوي الحيـــــاة وركبَهـــــا

نـــــستعجل اللقيـــــا مـــــع الرضـــــوانِ

لبيـــــك فاكـــــشف كربـــــة قـــــد أطبقـــــت

فالـــــشيبُ يعلـــــو هامـــــةَ الولـــــدانِ

والخطـــــب لا يجلـــــوه ركـــــبٌ عـــــاجزٌ

تعنـــــو الجبـــــاهُ بـــــهِ إلى الأوثـــــانِ

فَـــــأَذَنْ ببعـــــثٍ مثـــــلِ بعـــــثِ المـــــصطفى

عـــــذبِ المـــــواردِ راســـــخِ الأركـــــانِ

---

(1) قال د. حسن عبد السلام : أخطأ بإضافة (ذو) إلى (ريحان) لأن المعنى على هذا الوضع يكون وصفًا للحب بأنه ذو عصف وذو ريحان. ويبدو أنه حقق للبيت سلامة الوزن في غفلة عن صحة المعنى، ولم يتذكر أن الآية القرآنية التي اقتبس منها هذا التعبير، لم تفد أن الحب ذو ريحان، فلفظ (الريحان) في الآية الكريمة ﴿ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ [الرحمن:12]، جاء مرفوعاً ولم يأت مجروءًا. الكتاب ص89، وصححته بوضع مع بدلاً من ذو.

حبًّـــا أتينـــا خاشـــعين.. وسُـــجَّدًا

للهِ.. نـرجـــــو رحمـــــةَ الـــــرحمنِ

حبًّـــا نريـــدُ العفـــوَ مِـــنْ آلائـــهِ

يـــا طيـــبَ مـــا تعطـــي يـــدُ الغفـــرانِ

* * *

أبـــي

لحظة بوح نبيلة، يناجي فيها أباه – معلمه الأول – الذي سقاه العزة، وعلمه الاعتصام بالله، ولقَّنه قيم الرجولة، وغرس في أحنائه أن يستعد لدفع الثمن، وفيها يبث ما يلاقي من قساوة السجن، ونذالة السجان، ويطمئنه أنه على الطريق سائر، بل إنه مستعد أن يدفع الثمن.

ويتمنى عليه أن يواصل أسماره، ناثرًا في النفوس حديث الكبرياء:

كل الذي قد خفتَ أن أراه يا أبي
رأيتُـه.. رأيتُه
النظرةُ المعقوفةُ الشعاعِ تقتل الأمانَ في العيونْ
واللفظةُ المعذَّبة
تمـزق الأستارَ في مُـجون
والصرخةُ المروِّعة
في الغرفة المفزِّعة
معزوفةُ الجِـنَّانِ في حدائق الجنون [1].

***

فلتوقد النيران
وليسقط الإنسانُ بين شقَّي الرحى
كي تنـتهي معالـمُه
وليرقصِ الشيطانُ في أيامِه الحمراءْ
يـأيها الطيورُ: لا غِناء
فمن له تغـــردين قد قُتل
ولتقبلِ الزهورُ عذرَنا
فعرسُنا.. من قبل بَدئِه انتهى

(1) (الجنان: الجن، فصيحة) .

والصاحبُ الحبيب دون موعدٍ رحلْ

***

كُلُّ الذي قد خفتَ أن أراه يا أبي رأيته
رأيتُـهُ
أطعمتَني الحنان... والزمان
بلا حنان
سقيتنى الأمانَ من يديكْ
وطائرُ الأمانِ قد مضى بلا وداع
لما بدَت في أفْـقِـنا منائحُ الغربان
أردْتَـني والكبرياءُ شامتي
وللسماء هامتي
زمانيَ العجوزُ أحدبٌ يغار[1]
من هامتي التي تعانق الضياءْ

***

لِمْ يا أبي تلومني؟!
أنت الذي علمتني
أبي..
الدار ليست دارَنا
ليست بدار الآمنينْ
ليست بدار الوادعين

(1) كانت وزماننا: قال الشاعر عبد الله رمضان إن زماننا تخرج الأبيات من بحر الرجز إلى بحر الكامل والصح.. زمني.. وغيرها عبد السلام إلى زماني.

لم أقمت يا أبي بدارهم[1]
لم ارتضيتَ أن نعيش بينهم؟!
بين الذين يُضمرون سؤنا[2]
بين الذين يكرهون حبنا

***

قد جاءنا أبي وقتُ الحصاد
فلنجتنِ الحصاد
بكبرياءْ
ولتقبل العزاء
بلا دموع
فالحاسدون في انتظار دمعِنا
كي يضحكوا من جُرحِنا
غدا تُردُّ دارُنا
لنا..
لكم..
لإخوتي..
لكل من أحببتهم
فلتسقهم يداك ما سقيتني
وإن أتى المساء
وقد رأيتَ شوقهم[3]
يطل من عيونهم

(1) قال أعضاء الفريق أن هذا الشطر مكسور الوزن ولكن لم يقدم أحد اقتراحًا مقبول فتركتها كما هي.
(2) سؤنا فتعطي موسيقى مع الشطر التالي.. وأراد عبد الله رمضان تغييرها إلى السوء.. لتصحيح الكسر.
(3) كان البيتان سطرًا واحدًا (وإن أتى المساء، رأيت شوقهم) فقسمه رمضان هكذا، وأضاف (قد) ليستقيم الوزن.

فتلك رغبةٌ يصونها الحياء
في أن تتم يا معلمي..
حديث كبرياء

***

صغـيرتي

من روائعه التي يخاطب فيها أخته الصغيرة منى، في رمزية واضحة، يؤكـد بهـا أن جـرأة الجبناء على الحق إنما تأتت لكونه أعزل، وأن الدموع النبيلة لا تنم عن عجز، إنـما هـي آهـات القهر والتألم من أجل الخير والنقاء، ولن يجففها إلا إشراقة الصباح، وانبلاجة الحق:

لا تعجبي صغـيرتي
إذا رأيتِ دمعتي
فلستُ فارسًا تعـوّدَ الخطر
ولستُ مالكًا ذراع ماردٍ
تُفتـت الحجر
ولست عالـمًا بالغيبِ
كي أدافع الشرورَ بالحذر
أنا صغيرتي بشر
ودمعـتي قريبة من الأسى
يُذيبـني الألم
يُصيبني الجنونُ حيث يُصنعُ العدم
تُـشَلُّ نظرتي
إذا رمتها نظرةُ الخداعِ بالنِّـقم
يُصيبني الضنى
والعجزُ.. والسأم

***

لا تغضبي صغيرتي
فالنظرة التي رأيتِها مضيئةً
تصافحُ الحياة

واللفظةُ التي سمعتِـها
رنانةَ الصدى
تحرك الصدورَ والشفاه
والبسمةُ التي أهديتُـها إليك
كي تصافحي ملامحَ الإنسان حيث كان
كل الذي رأيتِـهِ
ما كنت فيه كاذبًا صغيرتي ولن أكون
لكنّ ما رأيتِـه هو الشذى
يفوح من حديقة الزهور في مواسم الربيع
هو الحياةُ في ظلال رايةٍ بيضاء
نسيجُها الضياء
وطائرُ الأمان حولَها يرتل الغناء
وخضرةُ الزيتون شارةٌ على الصدور
تزرع الطريقَ بالنماء

***

كي تفهمي صغيرتي:
هل تذكرين
حديقة التمساح والأسد؟
تلك التي ركبتِ فيها ذلك الجمل
« يمضي بنشوتِك الحبيبة ناعمًا
وهو السعيد بما حمل [1] »
هل تذكرين صاحبَ العرين
ذاك الذي تزيد عنده الخُطى

(1) القصيدة على بحر الرجز ، وخرج هذان السطران إلى بحر الكامل. رمضان.

ذاك الذي لا تَـجْسُر الوحوش أن تنال ساحتَهْ
قد نِلْتِهِ صغيرتي
قذفتِ من يديك ما أصاب هامتَـهْ
العيب يا صغيرتي في قسوة الأغلال
لا عيبَ في الرجال
العيب فيمن يعشق انحناءةَ الرجالْ

***

لا تحزني صغيرتي إذا رأيت دمعتي
فتلك قطرةٌ من الندى
تجفُّ في الصباح.. إن بدا

* * *

زيـارة

خطاب لأمه وأبيه ومنى الصغيرة - التي تعلق بها قلبـه - مفعـم بالثقـة، والأمـل في الله تبارك وتعالى، فيه يرتدي الرضا بأقدار الله سربالاً وجُنةً يقـاوم بهـا وحـدة الـسجن، وقـسوة السجَّان، وشدة الاشتياق للصغيرة التي يعدها بهدايا من الحكايا التي تصنع وجـدانها، يقـاوم الحياة القاحلة التي تخلو من الحب، ويناهض الأحقاد التي يغذوها الظلام مـن زاده المـسموم، ويعلن بجلاء أن الموت أحب إليه من انحناءة - ولو خفيفة - لغـير الواحـد القهـار، ويؤكـد واثقًا أنه عائد، وأن العاقبة للمتقين.

وتَحفل القصيدة بجملة من التعابير البليغة، التي يحتاجها معجـم صـور وأخيلـة بعـض الشعراء الإسلاميين، الذين أدمنوا التكرار في طرحهم البلاغي، وهي بـذلك تكـون رائـدة في طرحها شكلاً ومضمونًا، مع شحنها بالرمز القريب، الذي يغمز الدكتاتوريـة والاسـتبداد في جهة، وروح التحدي والوضوح الهدف من جهة أخرى:

على مشارفٍ تظل ألفَ يوم
ونحن نرتدي الرضا
ونصنع ابتسامَنا من ذكرهِ
ونرقُب الحياةَ من بعيدٍ..
في جزيرةٍ ببحرهِ
تفتحت قلوبُـنا على نوافذ الخـلودْ
تنفست زَفْرَاتُنَا في واحةِ السجود
الكفُّ حينما يصيبُـها الضنى
تمد بالرحيق
حين تعصِر اليدان صرخةً على القيود
والعينُ حينما يشدها الشرودْ
تردها عينان
عائدتان من حدائق الصمود

والقلب حينما يزوره الأسى
تضمه في بُردة الأمان بسمةُ الشهيد
الصبر يعرف الجميع
رافق الخطى على الطريق
والحقُّ بيننا
وصية الصديق للصديق

***

على مشارفٍ تظل ألف يوم
نجمع الغنائم المهداةَ من مليكنا
أمدَّنا بحبهِ
فهان خطبُـنا
أمدنا بروحهِ
فلم تزل مضيئةً قلوبُـنا
أمدنا بزادنا
ورغم وحشةِ السفر
فإننا براحةٍ ودودةٍ نصافحُ القدر [1]

***

وفجأة تردَّد النداء
من خارج الأسوار جاء حائرًا
وإنني لأعرفُه
أتى يطوف حولنا
أصابه الوهن

(1) لفظة: ودودة غير فصيحة، لأنها مما يستوي فيه المذكر والمؤنث، فيقال رجل ودود وامرأة ودود ، ويمكـن أن نضع مكانها: علوية - عبد السلام.

كأنه يقول آخر الكِلْمَات
كأن من يدعوه مات
وفي ملامح الوجوه نظرةٌ تقول
بأنه من قد مضى لساحة الجحيم [1]
لا يعودْ
وأن بطنَ الحوت لا ترد غائبا

***

أمي.. أبي.. صغيرتي
شربتمو من كأسنا
وغيرت وجوهَكم ملامحُ السنين
الليل ألفَ ليلٍ عشتموه مثلَنا
نهـارُكم معـذَّبٌ لأجلنا
أماه جففي الدموعَ.. إننا بخير
وسوف تهدأ الرياحُ كلُّها
وتشرق الحقولُ بالثمر
وسوف يضحك الصباح صافيًا
لمن ظفر
وسوف يأكلُ النسيانُ قصةَ العذاب كلَّها
وكلُّ ما مضى ودائعٌ لديه
وحسبنا بأننا نمد كفَّـنا إليه
غدا ستنتهي الخطى ببابه
ويشتكي المعذَّب الحزينُ ما به

***

(1) كانت (بأنه من مضى لساحة الجحيم) وعدلها الشاعر عبد الله رمضان هكذا.

أبي..
وأنت تعشق الرجالَ..
قد غدوتُ مثلهم
أحب أولَ الصفوفْ
نستكشف البحار والجبال والكهوف
ونشعل الضياء في الحروف
هنا نصافح الخلود
ونمسك السحاب
ونلمح الذي يكون في القمم
ونفتديكمو أحبتي
نساءَنا ... أطفالنا
غدا سينشر السلامُ فوقَكم جناحَـهُ
ويهدأ الأمانُ
حينما يُزوركم [1] صباحه
دماؤنا بنورها ستخنق الظلام
طوفانُ دمعنا سيغسل الأحقاد
كي تهدأ النفوسُ عندما تنام
جراحُنا حكايةٌ معذبة
بحمرةِ الدماءِ مُشْـرَبة
حزينةٌ وصارمة
ورغم زفرةِ الأنين عارمة
وصوتها يرجِّع الصدى
لكل قلب

***

(1) أفضل للسياق والقافية أن تكون (يزيركم) بدلاً من يزوركم. عبد السلام

ما أسوأ الحياةَ يا أحبتي
بغير حب
ما أسوأ الأحقادَ
حينما تُـزَفُّ للظلام
العرسُ مأتم
والبسمة الودودة العطاءِ تحرم
ذرية خبيثة الأنسابِ
تَـطعَمُ القذى
وتشتهي الخراب
جراحُنا شواهدٌ على قوائم القبور
وصرخةٌ تمور في الصدور
لعلنا نفيق
لنطلقِ الخطى على الطريق
أقولُها.. وأعرف الثمن
فلنرتدِ الكفن
فالموت في رحاب طاعته
أحبُّ يا أحبتي
من انحناءةٍ خفيفة بغير ساحته
وأنت يا منى.. يا أعذب المنى
وأنت تسألينني
لِمَا مضيت؟
لِمَا تركت بيتنا برغم أنني أحبُّـهُ [1]
ناديتِـني صغيرتي

(1) اختلف فريقنا بين من يثبت الألف للضرورة الشعرية ومن يرى حذفها في (لما)؛ فأثبتها كما أثبتها الشاعر.

وما أجبتْ
لأنني أردتُ أن تصافحي الحياة
حرةً ومشرقة
مضيتُ يا صغيرتي.. مضيت
لنفتدي بأجمل الأيام في أعمارنا
حياتَكم
لتحتمي بنبضة العروق في دمائنا
زروعُكم
لنطفئ الحريقَ شبَّ عاصفًا
وحام يا صغيرتي بدارِكم
مضيت هاربًا من القيود
كيلا نساق كلُّنا
في موكب العبيد
لا زلتِ[1] تذكرينني؟!
ولم تزل وَرودَةً ملامحُك؟!
أما أنا...
فلم تزل ببسمتي بقيةٌ
أزفُها لبسمتك
وحينما نُرد يا صغيرتي لدارنا
وتسألين عن هديتك
ستسمعين يا أميرتي
حكايةَ « الشَّاطِرْ حَسَنْ »

(1) استعمال (لا زلت) غير قياسي، لأنها تستخدم للدعاء، لا للتفرير، فيقال: لا زلتَ في خير، ولا زال الله رحيمًا بك.عبد السلام.

مضى ليقهرَ الغيلانَ في المدينة الخضراء
وحينما التقى بالأعرج الحقود هدَّهُ
بطعنةٍ من خنجره
واستخلص الحسناء
روَى حقولَ قمحِنا بدمعِه
وجاد بالدماء
ستعرفين قصةَ الحمامةِ البيضاء!
وقصةَ الطيور والغناء
وقصة الغرابِ والخرابِ..
والأسودِ والذئابِ والكلاب
لسوف تعرفين أن إسمك الحبيب
بسمةٌ في ألف قلبْ
يا بسمةً تُـحَب

***

سنلتقي بإذنهِ
في دارنا.. في كل دار
وسوف يقهر الضنى
في جوفِ ليلٍ أو نهار
ونحن نرتدي الرضا
ونصنع ابتسامَنا من ذكره
ونرقب الحياةَ من بعيد!

سنة شعبان رمضان محرم

* * *

فلنطلق ابتسامنا[1] في ليلة العزاء

بداية من العنوان نلمح التناقض الحاد، والسخرية التي تقطر مرارة، فالابتسامة في ليلة العزاء أمر غير وارد؛ وإلا كانت الجنازة - كما يقال - (حارّة، والميت كلب) أو من خلال روح استعلاء خاصة، تملأ جوانح المبتسم، الذي هو على بينة من ربه، وعلى ثقة من النصر الآتي، والذي يريد أن يعيد رسم واقعٍ أكثر إنسانية ونبلاً وعدلاً!

إنه يسخر من تفاهة الحاكم الفرد، والقيود الغبية، والسجان الأبله، ومن الظن بأن ذلك مقلل من ثقته بالنصر وبالناصر، وبحسن العاقبة وبالقادر، فإذا كان الله العظيم حسبه فماذا تضيره القيود والحائط الصفيق؟!

الباب مغلقٌ وقاتمُ
وذا الجدارُ أبكمٌ وصارمُ
يصبُّ فوقنا من قسوة الصخورِ
غلظةً مجنونةَ السماتْ
عمياءَ لا ترى
كأنها مُـعَدةٌ لرقدة الأموات
ولستَ تدرك السماء
طولَها وعرضها
ونجمَـها الذي يمد بسمةً من الضياء
هديةً للأصدقاء
وبدرَها الذي يطوف ليلَه
في موكب الأنوار
لعله يبددُ الظلام[2]

---

(1) للأسف توقف الأستاذ عبد السلام عن التقديم من هنا رغم تقديماته الجميلة.

(2) (كانت: لعله يريد أن يبدد الظلام) وواضح كسر البيت.

لكنني أقول للذي أضاءَ كونَـهُ
بأن في ديارنا عوالمًـا كثيرةً لا تعرفه
ولا تُرى بحيِّها ملامحُـه
فبينها وبينه الجدران
صماءَ ليسَ تعرفُ الكلام
إلا إذا هَذى مقدِّسًا ومادحًا
خرساءَ لا تجيد لفظةً من أعذب الحديث
غيرَ أحرفٍ ثلاثةٍ
تقولها، لكل شيء
أنا.. أنا
الخيرُ كله أنا
والعدل كله أنا
وبيننا وبينه نوافذٌ
تزاحمت بضيقِـها القضبان
وخلفَها بلاهةُ السجانْ
واحدٌ.. ثلاثةٌ.. وألف[1]
لا.. فالكل قد غدا يساند البهتان!
وفوق أرض غرفتي تكدست أجسادُنا
تراكمت إلى جوارِهَا فَضْلاتُنـَا
وكلُّ ساعةٍ تمرُّ..
تملأ المكانَ بالعفن
يا من يمر عندنا بسمعِه
تصدقوا لنا بخرقة بيضاء

(1) أضاف الشاعر (بل ألفان) فرأى الفريق أنها ركيكة فحذفها.

نُـعدها كفنْ

- هناك..

- من هنا؟

القائد العظيم حوله بطانتُـهُ؟!

لا ترهبوا عيونَـهُ

رغم كونِها تمور بالشرر

ولا تصدقوا حديثَـهُ عن أنه انتصر

فالغيب في أحشائه يكنز المعاني [1]

ويَحْمِلُ العزاء للجميعْ

للشيخ فى انحنائـِه

وللرضيع

وللتي يذوب قلبُها لِحـبِّـها الصريع

***

واليوم إننى أدعوكمو إلى زيارة لنا

في سجننا

لا تفزعوا؛ فلن تقيموا بيننا

فأقبلوا في أول النهارْ

وودعوا في آخر النهار

وبعدها تَقَـرُّ هذه العيونُ بانتصار:

وُضوؤها انتصار

صلاتُها انتصار

الله ربُها.. مليكُها

والعزةُ الشعار

(1) (كانت: فالغيب قد يُحْمَلُ بالتأويل، وهي ركيكة، ومكسورة) عبد السلام.

نعم هنا
نعم وهذه الوجوه
لا تعجبوا لبسمةٍ تعانق الشفاه
ريانةٍ تفجر الحياة
وتمنح الحياة
تمد ظلها على العيون
ترتوي بعزة الجباه
عريقةٍ تسبح الإله
شعاع رحمة يعانق المكان
فينتشي بسره الزمان

***

لم تفلح الجدرانُ والقضبان
لم يفلح السجانُ والسلطان
فنبعُـنا يُمدنا بزادنا
والواحد القهار أمنُنا.. ملاذنا
يا حسبَنا
يا حسبنا
مفاتحٌ للغيب - لا تُرى - تفيض بالعطاء
تقدم الغذاء والدواء والكساء
تخبئ الهناء

***

يا قرة العيون ساعةَ الجزاء
سنشترى الخلودَ بالفناء
فلنطلق ابتسامَـنا أحبتي
في ليلة العزاء!

وكان ملحداً .. ومات

هبونا قلنا إن الفأر أسد، وإن القمامة ماساتٌ فريدة فذة، فهل سيغير الكلام الحقائق؟! وما تجدي الأكاذيب والمخادعات؟

فليقل إنه مناضل، وليقل إنه ثائر، وليقل إنه حدِب على المساكين، ورفيق للجياع والمحتاجين.. ليقل ما شاء؛ فلن تخطئ الحقيقةَ القلوبُ اليقظة، والعيون المفتوحة، ولن ينطلي البهتان على رب الأرض والسماء! وما إن تشرق شمس الحق حتى ينجلي ضباب الزيف، وتنقشع غيوم التجهيل:

عرفتُــه
يحب أن يقال عنه:
إنه المناضلُ الكبير
يمجد الإنسان
ويطلق الكلام ثائرًا عن نصرةِ العمال
عن عزة الفلاح
كالفارس الذي خلا أمامَه الميدان

***

لكن قولَتَـهْ
ورغم أنها تضج في المكان
فإن جرْسَها يموت في الآذان
وتنشي الجموعُ لحظةً
في غَمْرةِ الصياح
وحينما تَـهُمُّ بالرَّواح
تشد خطوَها إلى الوراء
ويختلي الإنسان بالإنسان
في رحبةِ الخلاء

لتهمس القلوبُ للقلوب
قد كان كاذبًا
برغم ما بدا عليه من عناء

***

مذاقُ لفظِه يفوح بالجفاء
لأنه لا يعرف الإله
وليس في جبينه وضاءةُ السماء
ويكره الخطى إذا مشت لمسجدٍ
ويدعي بلاهـةَ الذي يـرى وجودَه
في ظل معبدِ

***

والآن هذه بقيتُـه
ترقبوا حكايةَ الختام
وصورةً تنامُ تحت أحرفِ السواد
في آخر الصَفْحَات
قد شُيعت بهذه الكِلْمَات:
« عزاؤه بمنـزله »
وصمتُـه يذوب في المكان
قد مر فوقه الزمان

***

والمأتم الـمَهيب ذاع سرهُ
والغيث لاح قطرُهُ
والنور في إصراره العجيب
يَعبر الدُّجى لفجرهِ
فلتخشعِ الأصواتُ للرحمن

ولتُنْصِتِ الأكوان
فالشيخ قد بدا
يرتل القرآن
يرتل القرآن..
القرآن..

***

الألـم

قصيدة من مرحلة ما قبل النكسة، مرحلة التخبط في ظلمات الأيديولوجيات الملحدة الكنود، والتَّفَرْعُن البشري الحقود، ودفع السفينة - دون أشرعة - وسط الرياح الهوج..

وهي شكوى من الضعف الإنساني، والخوف من هواجس الانكسار واليأس، حين يغالبها اليقين في الله، والثقة في موعوده، والتشبث الرصين ببشريات الانتصار؛ رغم الجراحات، والغيوم والوجع..

هي إقرار واقعي بالضعف الإنساني الذي لا يلبث أن يستعلي على نفسه، متقويًا بالقوي، معتزًّا بالعزيز سبحانه، وهي إعلان صريح بالاستعداد لدفع الثمن من أجل الآخرين، من أجل الفجر والنور، والعدل والخير، والاستقامة والعدل، مهما كان الثمن ثقيلاً باهظًا..

إنه مستعد للإبحار في البحر اللجي، رغم التطام الموج، وضعف الزاد والعتاد، لكنه على بينة من ربه، وثقة من إحدى الحسنيين، فما أعظم الجزاء!

سهام ليلِهم تجمعت لقهرِنا
تثور.. تطلق الدخَانْ
لتحرق اخضرارَ عودِنا
وتنشرَ الجفافَ في المكان
تُكَسِّر الشراع للسفين
تود لو تمرِّغُ الأنوف في التراب
لو يضحك العذابُ عابثًا
بقهرِه العَبوس
يدوسُنا بهمه الثقيلِ..
كي نطأطئَ الرؤوس

***

نعم أصابنا الضنى

وهـدَّنا الحَزَنْ
نعم بكت عيونُـنا
وضجت الجراحُ بالعَفَن
والضرُّ مسنا
وعضنا بنابِـه الشجنْ

***

وفى رُغام ليلِـنا الضريرِ
شامخٌ فُتِن
نعم أحبتي نعم
ولستُ أنكرُ الألم
ورغم أن وَجْهَهُ الكئيب
قد مر في بيوتنا
وخلَّف النحيب
ورغم أنني وأنت في ديارنا غريب
ورغم أن فرحة المُنى
قد ودعت قلوبَـنا
فلم تعد تلُـوح للبعيد والقريب
ورغم أننا هنا نصارع الهموم
فلم تزل أقدارُنا تقول:
لا بد يا أحبتي من الألم
ليسقطَ الكسيح
لينتهي تراقص الذبيح
ليختفي في قسوة النيران
مرهَفُ الطلاءِ والخبث

ليهتف الجميع:
الموت للعبث
ليستبد بالمراوغ القلق
ليهدأ الشهيدُ إن صدق
فلم تزل مزاهرُ الحياة في القلوب
يصونها من الضياعِ
أنّ ربَّها كبير
وأننا بركنه الشديدِ نستجير
وأننا بظله الحبيب نحتمي
وفي رياض وعدِه الوفي نرتمي
وإنه لحق
البيع رابحٌ.. ورابحُ

***

نظل في مواطن البلاء والرجا نُوحِّدهْ
ونذكر اسمَـه الحبيب
حينما يضمُّـنا السجود
وحين يبدأ الحديثُ بيننا وبينَـهُ
نمجـدهْ
وتشرق الحياةُ باسمه الودودِ[1]..
حينما نردده
هو الطريق
هذه سماتُـهُ..

(1) لفظة: ودود غير فصيحة، ويمكن أن نضع مكانها: علوي.. عبد السلام

وهذه ملامحُـهْ

***

وحينما دعاك للمسير في رحابِه الشهيد
تحركت يداك حُرَّةً تصافحه
وحينما وجَّهْتَ للمليك وجهتَـك
وحينما عقدت بيعتك
في الليلة العريقة النسب
نُـبِّـئتَ أن رحلةَ الرجالِ مجهِدة
تشق في الصخور دربَها
وتأكل الظما
وتشرب النَّصَب
وتشعل المصباحَ بالدماء
إن جف زيته

***

نُـبِّـئْتَ حينما تحركت خطاكَ
ترتجي منابعَ الضياء
بأن في طريقنا ابتلاء
وأننا سنقبل العناء
لنفتدي رسالة السماء
دُعيتَ كي تقدم العطاء

***

صدقتَ ربَّـنا.. وبلَّغ الرسولْ
صدقتَ ربَّـنا.. وبلَّغ الرسولْ
فهب قلوبنا الرِّضا
وثبِّـتِ الأقدامَ في مواطن القضا

وأصلحِ البقية التي لنا
واغفر لنا الذي مضى
وحطم الأغلال عن قلوبنا
وكن لنا
فأنت دائمًا تجود
هب جوادنا الصمودَ كي نواصل المسير
لندرك الكتائبَ المظفرةْ
مضت لساحة الأَمانِ تعلن السلامْ
هديةً معطرة
بنورها ستختفي مآثمُ الظلام

***

غدًا تضيءُ أحرفُ الهدى
في داخل الصدور
وتظهر المواكبُ الموحدة
على مشارف الأفق
سَيَقْطِفُ الثمارَ من سبق
ويُغرق الطوفانُ من أَبَق
ومن أوى لقمَّـةِ الجبل
يريد – واهمًا – حياة

***

ستملأ العيونَ فرحةٌ مزغردة
تقول للأسى؛ ونحن نقطع الطريق للعلا:
سننتصر
على الشفاه ذكرُها..
يزف بسمةَ القدر

الكفُّ لم تزل بخيرها
قويةً.. غنيةً
وقيدُها سينكسر
وفي العيون نبضُها
يضجُّ.. ينصهر
غدٌ لنا.. غد لنا
ونحن في مواقع الخلود ننتظر

***

فلتحكموا السُّفُنْ
لأنَّ بحرنا عميقٌ
واستكثروا من زادنا الأصيل
فلم تزل بعيدةً نهايةُ الطريق
لكنّ نبعَـنا الرطيبَ مغدِقٌ
ولم يزل
يبلل الظما
ويطفئ الحريق
ولم تزل عيونُـنا نفاذةَ البريق
تضيءُ للجموعِ
كي تسيرَ كي تسير
من بعد أن تعلمت في ليلها الكثير

جمادى الثاني جمادى الثاني رمضان محرم

* * *

لا تذكر الحياة

رغم كثافة اليأس، وشدة الحال، ورغم اللوحة السوداء المقيتة التي يسعى لتجسيدها، فإن الشاعر، يفتح كوة للنور في سدف الظلام، تُنَبِّئُ الغريب عن أمل، هاتفًا: فلنرتقب.. فلنرتقب..

لا تذكر الحياةَ
لا تقل صغيرتي
وودِّع المنى
ولا تقل لي بيتَنا
لا تذكر الحقولَ والشجر
ووقفةً هناك عند شاطئ النَّهَر
أمي؟! [1]
لا تقل لي إنها تجففُ الدموعَ في السحر
تجيب للجميع باسْمِه
تقبِّل الطيوفَ
لا ترى سواه
تسرق الخطى لموضعه
تقبل الثياب
وسمعُها معلَّقٌ بطرقةٍ بالباب
وحيدةً
وحولَها الضياع
وليلُها ويومُها التياع

* * *

(1) كانت: أماه، وهذه صيغة نداء، وليس الوضع موضع نداء بل تقريرًا.. عبد السلام.

لا تقل: صغيرتي
فقصةُ السنين بدلت سماتها
واللثغة التي عشِقْتُـها
تنكرت لها
والنظرة التي عرفتُها غريبة عليّ
ما عدت قادرًا.. وكيف
أضمها إليّ؟!
لا تقل: صديقتي
فقد طوى النسيانُ وجهَـنا القريب
فتاه في الزحام
غاب في متاهة الأيام
الخطو في المكان قاتلٌ عَبوس
والقلب بين قبضة الأغلالِ
مطرِقٌ يؤوس
ورغم كبريائنا الممزقِ الضلوع
فكلنا حزين
وكلنا يكابد الحنين

***

ويفرح السجين لحظةً
لكنّ بسمتَـهْ
يردها الأنين
وكلنا - ورغم جمعِنا - وحيد
قد أصبح الكبيرُ والصغير في الأسى سواء
الليل والنهار

بقية الوجود عندنا

علامة الحياة

لم يبق يا أحبتي لنا سوى انتظار

فأمسُنا مضى

وليس بيننا وبينَـه نسب

غدٌ معلقٌ بأفقنا المجهولِ

دونَـه حجب

لكن رعدةً هناك

خلف حمرةِ الشفق

تُنبِّئُ الغريب عن أمل

فلنرتقب

فلنرتقب

حمادي كان حمادي كان رمضان محرم

* * *

مرثيــتي

يمكن للجلاد أن يملك الجسد، أن يجلد الجسد، أن يؤذي الجسد؛ لكن هل يمنـع أن ترفرف الروح إلى الملأ الأعلى، وتستشرف روضات الجنات، وتهفو للرحيق المختوم؟

هل يمكنه أن يمنعها أن ترى الحور العين، وتـستروح ريـاض الـصالحين، وتـسبح في ملكوت رب العالمين؟!

هل يمنع أشواق القلب، وصبوات الروح؟!

إن الموت على ذلك أحلى ملياري مرة من حياة الذل والعار التي يـدعو إليهـا الباطـل، ويقدمها للمحرومين على أنها إكسير الحياة! فدعو الروح تطير إلى بارئها الرحمن الرحيم!

أغمِضْ عينيَّ ولَقِّني اسم حبيبي
فأنا سأموت
سأعود إليه فلا تبكِ
اضحك حتى تملأ أصداءُ الفرحة كلَّ الكون
سأعود إليهْ
فأنا المشتاقُ إلى لقياه
والحورُ أُراها يا صحبي
الحور تنادي سيدها
تخفي الطرْفَ بطرْفِ الثوب
وأشمُّ مع العطر شذاها
فاتنةً من أنوار القدس
تُضيءُ ربوعَ القلب ببسمتها
والعِقْـدُ الأحمر فوق النحر
يا فاتنتي ما هذا السحر!
كلماتي لُـفّت بحيائي
والقلب يردد نبضَ القلب

والحورُ تنادي سيدها
في صوتٍ رقت نغماتُـهْ
وانسابت
تصنع في الأعماق حكايةَ حب

***

هرب المسجونُ من القضبان
عبَر الأسوارَ ولم يدركه السجان
لم يهرب
الصوت يقول:
- سيدنا
إن فلاناً قد مات
- كيف يموت
ويدوس الِغرُّ على نابه
لم نُـنْهِ مهمتَـنا بعد [1]

***

في كل مقام عذّبه كبْرٌ أحمق
- وأنـا.. وأنـا
يا حسرةَ مَن بأناه يعاندُ سطوةَ سيدهِ
قولوا للأبلهِ: لن يرجع
فاحذف رقمًا
كان يضاف إلى الأرقام
وارقب في ليل العيد دموعَ الأطفال

(1) كان السطر: (لم ننه بعد مهمتنا) وهكذا يستقيم الوزن كما أثبته عبد الله رمضان.

تتجمع في سهل الطوفان
وارقب صوتًا
كان يناغي الأسيانَ [1]
يُصم اليومَ الآذان
وارقب ساعدَ نبضٍ غضٍّ
يجتاح صروحَ الأوثان
وارقب بعثًا للأكفان
أغمض عينيَّ..
ولقِّني اسم حبيبي
فالطائر يعزف تغريدًا
لا يطلقه إلا في لحن رحيل

رجب شعبان رمضان محرم

***

(1) كانت الأسى وتستقيم وزنًا ومعنىً، كما أثبت عبد الله رمضان هنا!

اليـوم عـيد

من روائع قصائد الشيخ رحمه الله، يتحدث فيها عن معانـاة أهـالي الـسجناء في يـوم العيد، الذي يفترض أن تملأه الفرحة المشرقة، والتياع الزوجات، وانكسار الأبناء، وهي أيضًا من روائع ما أنشد أبو مازن، بأداء قوي، ونبرة مؤثرة.

والقصيدة مكتوبة قبل النكسة (الغَرَّاء) بعام، ترسم صورة لمحرومين في العيـد.. طفـل وطفلة وزوج صبور تحتمل بشجاعة غياب زوجها، وتعطي حياتها لأطفالها.. وهي مع ذلـك مشحونة بالتفاؤل والأمل في الله تعـالى، وفي المـستقبل المـليء بالأمـل، المـشحون بالثقـة في الله الكريم الوهاب.. [1]

اليوم عيدْ
قد عشت فيه ألفَ قصةٍ
حبيبةِ السمات
أردِدُ الأذانَ في البكور
أراقبُ الصغارَ
يمرحون في الطريق كالزهور
وهذه تحيةُ الصباحْ
وهذه ابتسامةُ الصديقِ للصديق
والسلامُ يبسطُ اليدينِ
يرسلُ الندى
ويملأ الحياةَ بالأمان
وخضرةُ الزروع غضةَ الجنى
تجمعت أمامَ مسجدِ الإمام

(1) عاد الأستاذ البسيوني إلى كتابة المقدمات وراجع مقدمة هذه القصيدة في الشريط الخامس لأبي مازن فهـي رائعة.

وأطيبُ الثمارِ تطلبُ الكبار
هديةٌ يحبُّـها الصغار
تحبها صغـيرتي
ما أطيبَ الزمان يا أحبتي
إن عانق الأمانْ
زمانُـنا ربيعُـه الأمان

***

الكلُّ عائدٌ بفرحة تطل مشرقة
من الشفاه والعيون
ودارُنا ستنتظر
صغيرتي ستنتظر
والشرفةُ التي على الطريقِ
تسمع الصدور
تعزف الأشواقَ
تعصر الأسى
هشام لن ينام
قد كان نومُه على ذراعِ والده
نهادُ لن تذوق زادَها
لأنها تعودت
أن تبدأ الطعام من يد الأسير
شريكةُ الأسى بدا جناحُها الكسير
تخبّئ الدموعَ عن صغارها
وحينما يلفها السكون
سترتدي الصقيع..
كي تقدم الحياة للرضيع

ما زال يومنا ويومهم
لأننا نحبهم
اليوم عيد

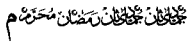

* * *

وبعـــد

درة عقد الديوان، ورائعة من روائعه، وقصيدة تضج بالمشاعر الفياضة، وتسح بالـدموع النبيلة، دموع الرجال الشم، الذين أرادت الكرابيج أن تحني هاماتهم وهممهم - رغم ضـعف الحال، وفظاعة قهر الرجال - فأبوا إلا إصرارًا على مواصلة الطريق، أو لقاء المولى عز وجـل؛ مملوئين بالأمل، والثقة بأنهم على الطريق الأخضر، الذي يحفه النور، وتكتنفه شارات الأمل.

كتبت عام ما قبل النكسة (الغَرَّاء) كأنها تقرير حالة، أو بيان لأسباب الانكسار، وتبرير مسبق لانهزام الأمة التي كانت انشغلت بأكل بعضها، واطمأن بالها من جهـة عـدوها! فـاقرأ وأعد، وأنا ضمين ألا تملّ، واسمعها أيضًا من أبي مازن؛ تحفة في الأداء، وسحرًا في النغم[1]:

وبعدما رأيت ما رأيت؟
وبعدما عرفت ما عرفت؟
الموت حينما دنت مخالبُـه
والليل حينما اعتدى على الصباحِ
ضاريًا يغالبه
الموتُ كان أمنية
والموت كان للجراح أغنية
واختار من صفوفنا
أحَبَّ من رأت عيوننا
واختار من صفوفنا الكبارْ
واختار من صفوفنا الرجالَ صانعي النهار
واختار للذرا أحبةً كرام
تحيةً لهم.. سلام

* * *

(1) مقدمة الأستاذ البسيوني.. وراجع مقدمة هذه القصيدة لأبي مازن بعنوان «ملحمة الدعوة».

عيناي تسبحان في الشرود
من يومها
من يوم أن تحرك الفَناءُ
فوق كل أخضرِ
يا واحةَ الأمان أقفري
قد استبيحت الحـُرَمْ
وسيقت النساءُ والأطفال للحُمْم
ليطعَـموا لوحشة الظُّـلَم
ليطفئوا ابتسامةَ الصغير
ليهتكوا قداسةَ الحرم!

***

وضجت الأصواتُ تستغيث ربها
في الليلة التي بكى بها الحصى [1] من شهقةِ الدماء
وحُمِّلت رياحُها بألف آه
الكون كله يقول: آه
ويا لَـذلةٍ تراد بالجباه

***

تكسَّري سنابلَ العطاء واسجدي
ومرِّغي تيجانَك الشماء في الثرى
يا خضرة الزيتون
فلترتـدي السوادَ

(1) في الديوان (الحصن) وغيرها عبد الله رمضان إلى الحصى.. وتأمل فهي أوضح للمعنى وواضح إمكانيـة الخطأ المطبعي. أكرم

فوق كل عودٍ أَثمرا
ويا مدامعِ السحابِ طَـوِّفي على الديار
وأودعي بكل شبرٍ دمعةً من السماء
وأكثري على المحارم البكاء
أكثري البكاء

***

ويا شذا الريحان
قبل أن تفوحَ بالعبير
أود أن أُذَكِّرُكِ
بأنهم في لحظةٍ من الظما تفقدوا
ولم يكن هناك ماءْ
وأنك ارتويتَ يومَها بأقدس الدماء
الحرةِ الطهور
بالحرمة الطهور
تَـعذَّب الذبولُ في ملامح الزهور

***

الحرةُ التي تداس يا لَهَـوْلِها
عويلُها يحرك الصخور في جبالها
فيصرخ الملَك
يهتز في انتظار ومضة لمن ملك

***

سألت خالقي.. وكلنا سأل
لمن لمن تركتنا؟!
سألت خالقي إلى متى..

ستطعم الكلاب ما وهبتنا؟!
الهول؛ يا لَقسوتِـهْ
محافلٌ تضم ألف سوط
والموت قادمٌ يدوس فوق موت

***

وبعد..
وبعدما رأيتُ ما رأيت
عَرفتُ كيف يُـقهر الرجالُ بالضنى
عَرفت
وفي مواقعٍ منَ الأسى بكيت

***

تحرك الشيطانُ حاملاً سلاحـه
ومضمرًا لكل بسمةٍ للنور في صدورنا نواحَـه
وأطلق الدخان غاضبًا
واستجمع القوى
بكل حقده الذي يضمُّـه هوى
رأيت كبوةَ الجواد مضنيةْ
رأيت دمعةَ الجَسور مبكية

***

وبعد...
وبعدما رأيتَ ما رأيت
هل تعود للطريق؟
هل تعود؟

وقبل أن أجيب[1]
تحركت مدامعي هديةً لمن مضى
وأُرهِفت مسامعي
لأستعيدَ من مواطن الغيوبْ
وصيةً سمعتُـها في لحظةٍ من الرضى
واهتز قلبيَ الذي قد هدّه العذابْ
أحسست رعشةً
بجسميَ الذي يخاف غضبةَ الكلاب
وجاء ضعفيَ الكئيبُ جاءْ
عَرفتُه في كل لحظة من الضنى قد عشتُها
أتى يقدم الرجاء
تعلقت عيناه بالجواب

***

يا ترى وبعد؟
عائدٌ أنا..
من حيث أتيت
عائدٌ أنا لمسجدي
عائدٌ إلى الصلاةِ والركوعِ والسجود
عائد إلى الطريقِ
خلف أحمد الرسول
أُطلق الخطى حثيثةً[2] في إثره

(1) كانت في الديوان «وقبلها أجيب» وصححها عبد الله رمضان همذا وهي أوضح في المعنى.
(2) كانت (حزينة).

عرفت قصةَ الطريق كلها
وعائدٌ أنا برغمها
كالفجر
كالصباح.. مغدقٌ وباسمُ
والخطوُ كالرياح عاصفٌ وعارم

***

لا بديل للخلودِ.. لا بديل للجنان
لا بديل غيرَ ذلةِ الرُّغام
لا بديل غيرَ خُدعةِ السراب
لا بديل غير وهدة الظلام
لا بديل للإقدام
غير سحقة الأقدام

***

عرفت قصة الطريق كلَّها
الموتُ أول المطاف
لكنّ خضرةَ الطريق
لا يصيبها الجفاف
قادمٌ وقادمٌ وقادم
إشراقةٌ مضيئةٌ تجيء في الختام
تقدموا.. تقدموا
فبعد لحظة من المسير
ينتهي الزحام

محمد الحلاق محمد الحلاق رمضان محرم

* * *

عـذابنـا

لا عمى أشد من التزييف وإلباس الباطل ثيـاب الحـق، وكـسوة القـبح رداء الجـمال، ونعت الخير والعدل والحرية بنعوت حقيرة مبتذلة!

لا عذاب أقسى من قهر الرجال، وقطع الألسنة، وإهانة الحرائر.. والعدوان على الدين، والجهر بالإلحاد والتمرد على الله تعالى، تحت مسمى التحرير والتنوير والنخوة.

لا خيانة أشد من خيانة الوطن والتشدق و(التزمير) بالبطولة والوطنية والنخوة !

وهذا هو فن الباطل حين يحكم، والعمى حين يدعي الإبـصار، والقـبح حيـنما يتغـول، راقصًا على جثث الحق والخير والجمال..

أغالب النحيبَ والعويل والصراخ
أغالب الكلامَ والدموع
أغالب النظْراتْ
فكل ما نقوله من الكلام عاجزٌ
مهدمٌ.. مقيدُ
وكل ما نراه مرهِـقٌ معذِّبُ

***

يا خالقَ الحياةِ والممات
يا مجريَ السحاب
يا عظيم
نعوذ بالرضا من قسوة الجنون
متى نقول ما نحب أن نقول؟!
متى يموت قهرنا؟!
متى يثور سيدي بركانُـنا؟!
متى نلقب الأشياءَ
بالذي يوافق الأسماء

ونصنع الحقيقة المقدسةْ

***

حقائقُ الحياة كلُّها مزيفة
الخير شرٌّ مطبِقٌ
فمزقوا رداءه
والشر - في عوائه الكئيب - غادةٌ
يساق في أعقابها المديح
إياك أن تحب خضرة الزروع
ما أجمل السواد!
ما أرَقَّ بومَـهُ
ينوح فوق دارنا
ولتذبحوا الحمام
ولتقتلوا الأطفال
ولتحرقوا الأزهار كلها
لكي يسير ركبُهم

***

نبوءة الحبيب كلها تحققت
فلم تعد عيوننا لشدة الظلامِ مبصرة [1]
فإن رأت
فما الذي يفيد أن ترى
أو لا ترى!

شعبان محمد رمضان محرم

(محرم) كانت: تبصر، وهي هكذا أوقع وأنسب للسياق.. عبد السلام.

دعـــاء

إعلان للتوحيد على طريقة الشعراء الذين يجيدون التأمل، ويحسنون التقاط صور الجمال والإبداع في صنع الله البديع، واسترواح مجالي عظمته ووحدانيته، في تعابير رقيقة شفيفة حالمة، ثم ترفع عن القشرة الخادعة والبريق الزائف ليتحقق للفؤاد تسليمٌ للذي يعلم السر وأخفى:

أســـــبح ربيَ مثـــــلَ الطيـــــور ... وأهتـــــف باســـــم إلـــــهٍ كبـــــير
أرى كبريـــــاءً بلـــــون الـــــسماءْ ... ووومـــــضِ النجـــــوم وبُعـــــدِ المـــــسير
وفي شـــــفَقٍ مـــــشفقٍ كـــــالجراح ... يَـــــذكّر مـــــن أبـــــصروا بالـــــسعير
وأَسْـــــبَحُ في بَـــــسَمَاتِ الـــــشروقِ ... ولَـــــثْمِ النـــــدى لـــــشفاهِ الزهـــــور
ويعـــــرفُ قلبـــــيَ معنـــــى الـــــشموخ ... وصرح الـــــرواسي يـــــضم الـــــصخور
وحـــــين يـــــساق الـــــسحابُ الجـــــوادُ ... ليُحيـــــيَ في الأرض مـــــوتَ القبـــــور
وفي الـــــشمس لُفَّـــــتْ بخِـــــدْر الحيـــــاء ... تنـــــادي الأحبـــــةَ عنـــــد البكـــــور
وفي البـــــدر طَـــــوَّقَ قـــــدر الهـــــلال ... منـــــازلَ تحكـــــي خطاهـــــا الـــــشهور
وفي النخـــــــــل دانٍ بقنوانـــــــــه ... وفي النحـــــل يجمـــــع حلـــــوَ العبـــــير
بـــــصوت تَرَقْـــــرَقَ بـــــين الحـــــصى ... بكـــــفِّ الحبيـــــبِ البـــــشيرِ النـــــذير[1]
بدمعـــــةِ فـــــرْحِ بلـــــيلٍ حـــــزين ... ببـــــسمةِ طفـــــلٍ حبيـــــبٍ صـــــغير
خلائـــــقُ تـــــسجد طـــــوعًا لـــــه ... وتعنـــــو لـــــسطوة ربٍّ قـــــدير
أفـــــر إلى ســـــاحة الـــــساجدينَ ... أشـــــارك في مِهْرَجَـــــانٍ كبـــــير
أبيـــــعُ.. ورَبِّيَ منـــــي اشـــــترى ... أبيـــــعُ الحيـــــاةَ ولا أستـــــشير
وكنـــــت بأمـــــسِيَ أخـــــشى العيـــــون ... وأهـــــربُ مـــــن شرهـــــا المـــــستطير
وكنـــــت أخـــــاف حلـــــولَ المنايـــــا ... عـــــلى ظهـــــر عبـــــدٍ مُقِـــــلٍّ فقـــــير

(1) سبح الحصى في كف النبي ﷺ.

فلـــما طلبـــت الحمـــى في حمـــاهُ ... أمنـــت بحـــصنِ العـــزيزِ المجـــير

ولمـــا اطمـــأنَّ بـــصدري الحنـــانُ ... وحُلَّـــتْ لـــديك قيـــودُ الأســـير

أيـــادٍ مـــن الجـــود فـــوق الثنـــاءِ ... وفـــيضٌ مـــن النـــور للمـــستنير

رغبـــت انتـــسابًا لـــرب الجـــلالِ ... يفـــوق الطمـــوح بقلـــب الجـــسور

فأشـــهدت خلقَـــك أَنِّيَ عبـــدٌ ... أَحَـــبَّ المليـــكَ العزيـــز الغفـــور

وأَسْـــلَم عنـــد رضـــاكَ الرحـــال ... وأُلـــقي لـــديك عنـــاءَ المـــسير

محمد محمد رمضان محرم

* * *

دعـــاء[1]

ابتهالية تنضح – والله حسيبنا وحسيبه – بالصدق، والنقاء، والتعلق بباب الله تعالى الذي لا يرد راجيه، ولا يخيب مؤمله. مزج فيها الشاعر المباشرة بالرمز، واللغة الواضحة بألفاظ الصوفية، لكن أجزم أنك لن تجد فيها ما يخدش توحيدًا، أو يخل بمعنًى، أو يوحي بدروشة بلهاء، بل هي الصحو كله، والتعلق كله، والأمل كله، بلا إخلال ولا حيف، فما أروع الوعي، وما أحوج الدين للصاحين!

الطف بنا عند القضا يا سيدي ... واستر إذا كَشف المعايبَ معتدِ

نحن العبيد، وفي البلاء ضعافُ ... العين تَهمي.. والقلوبُ تخافُ

أنت المهيمنُ.. لا سواكَ يعيننا ... بالله يا رباه لا تمكرْ بنا

الأرض أرضُك، والسماء، وما يُرَى ... والغيبُ غيبُك، لو تكشَّفَ للورى

والأمر أمرك؛ إن أردت رحِمْتَنَا ... وإذا قهرت[2] فقد عدلت بقهرنا

فلمن سيهرب من أردت عذابهُ؟ ... وبمن سيجأر من أهنْت حسابَه؟

من لا يكونُ له بحصنك موطنُ ... يا ليته ما كان.. ذلك أهونُ

إن جُدت جاد الخير في أرجائنا ... وإذا غضبت فيالَطول شقائنا

يا من إليه المنتهى لمن ارتجى ... لا زاد عندي تستباح به النجا

والعين تبكي من ذنوب قدمت ... والنفس تخشى ما يداها قد جنت

أنا قد فَرَرْت إليك منك لأحتمي ... برضاك من هول الشديد الناقمِ

أخشاك؛ جبارًا عزيزًا قاهرا ... رحماك؛ غفارًا كريمًا قادرا

ألقيت عندك حاجتي وسؤالي ... أشكو إليك الهم؛ غيرَ مبالِ

وأبثك الأحزان في ثوب الرضا ... حمدًا لمن بقضائه يجري القضا

إن كان عجزي مثقلاً بذنوبي ... فبظل عفوك قد سترتَ عيوبي

---

(1) في هذه القصيدة والتي بعدها (كلنا مسافر) لم يلتزم الشاعر قافية واحدة واكتفى بتوحيد مصارع الأبيات.

(2) كانت (وإذا أردت) فغيرها عبد السلام هكذا.

إن كـان ضـعفي في الـشدائد قـد بـدا ... فبجـاه نـورك أستجـير عـلى المـدى

إني إليـه قـد شـددت رحـالي ... قبـل النـدامة سـاعةَ الترحـالِ

أنـا قـد أتيتـك واثقًـا مـن نُـصْرَتِي ... ثقتـي بـما أحكمـتُه في قبـضتي

والعبـد يرفـع للمـليك دعـاهُ ... خـذ بالزمـام إليـك؛ يـا ربـاه

أنـت الـذي أسريـت دفئـَك في دمـي ... فبـدت ملامحـه تَرقـرَقُ في فمـي

فنطقـت باسـمك داعيًـا وملبيـا ... وجـرى اللسان بـما أفـضتَ مناجيـا

فجـرت دمـوعُ العاشـقين مهابـةً ... وبكيـت مـن فـيض العطـاء إنابـةً

وعرفـت طعـمَ الـشوق ذقـتُ جلالـهُ ... لمـا التقيـتُ بمـن مُنحـت وصـالَهُ

فهنـاك مـن بـين الوجـوه عرفتُـهم ... كالـدُّر في بحـر الحيـاة نثـرتَهم

الـسر فيهـم لا يـراه النـاظرُ ... لكنـما هـو للبـصيرة ظـاهرُ

فـازداد لهـفي رغـم قلـة حـالي ... جـدْ يـا كـريمَ الفـيض لي بوصـالِ

يـا مـن بـدأتَ فجـدت إذ أكرمتنـي ... فعرفـتُ بابـك عنـدما نـاديتني

أتممـ عطـاءك بـسمةً عنـد اللقـاء ... تُـنبي الأحبـةَ أنـه طـاب الجـزاءْ

وائـذن لنـا بـورود حـوض المـصطفى ... يـا طيـب مـن يلقـاه إن صـدق الوفـا

الـدمع زادي.. والـشفاعة مـأمني ... والعفـو ركنـي.. والـسماحة مـوطني

فـأفض عزيـز الجـاه منـك تفـضلا ... فأنـا لغـيرك مـا سعـيت مـؤملا

محمد الطهان محمد الطهان رمضان محرم

* * *

كلنا مسافر

النـــاس كلـــهمُ إليـــه مـــسافرُ ... والـــزاد - يـــا نـــدَماهُ - زادٌ خـــاسرُ

والعمـــر يمـــضي غفلـــةً لا تـــستحي ... والقلـــب أُشْرِبَ قـــسوةً لا تنمحـــي

الطـــير سَـــبَّحَ.. والملائـــكُ سُـــجَّدُ ... وبُنَـــيُّ آدمَ للهـــوى مُـــسْتَعْبَدُ

الرعـــدُ - في جبروتـــه - يخـــشاهُ ... فـــبمن تـــلوذ؛ إذا أتـــاك قـــضاه

أدركـــتُ أنَّـــا للـــعناء نـــسيرْ ... فالكـــل أصبـــح للـــشقاء أســـيرْ

زاد الـــضنى حتـــى شـــقِيتُ بغربتـــي ... ففزعـــت للـــرحمن أشـــكو وحـــشتي

فعرفـــت أَنْـــسًا لا يُنَـــالُ بغـــيرِهِ ... ونعِمـــتُ بالـــشوق الحبيـــب لنـــوره

يـــا ليـــت كـــل الحـــائرين تفكـــروا ... الخـــير يدعونـــا إليـــه فـــشمِّروا

يـــا مـــن وقفـــتَ ببابـــه ترجـــو النـــدى ... ورفعـــتَ في ليـــل الـــدموع لـــه اليـــدا

أبـــشر فـــساحة ذي الجـــلال أمـــانُ ... ولمـــن أتاهـــا الفـــضلُ والإحـــسانُ

زد في الـــسؤال يـــزدْك ربُّـــك في العطـــا ... فمليـــكنا يعطـــي عـــلى قـــدر الرجـــا [1]

واصـــبر لغـــد؟؟ قـــد يـــصيبك بالـــضنى ... فعـــزائمُ الأقـــدار ترفـــع قـــدرنا

ونبيُّـــنا.. لمـــا أتـــاه العـــاشقُ ... يخـــشى المـــشقةَ قـــال: كيـــف تـــسابق؟

مـــن كـــان يطلـــب منتهـــى الآمـــالِ ... هانـــت عليـــه نفـــائسٌ وغـــوالِ

الله قـــدّر أن نـــرى يـــومينِ ... عـــسر [2] يـــزول بنـــشوة اليـــسرينِ

فـــإذا ابتـــدأنا العـــسر؛ يـــا بُـــشرانا ... بـــاليُمن يبـــدي خلفَـــه اســـتئذانا

فلتُعـــسري مـــا شـــئت يـــا دنيانـــا ... فـــالخير مـــا أخـــفت لنـــا أَخرانـــا

فهنـــاك تنـــسى العـــين مـــا أبكاهـــا ... كالـــشمس تُنـــسي ليلهـــا بـــضحاها

1965م

---

(1) كان البيت زد في السؤال يزيد ربك في العطا، وصححها د. حسن وفريق العمل إلى: زد في السؤال يـزدك ربك في العطا.

(2) الأقيس أن تكون (عسرًا) على البدلية. عبد السلام.

ربـــاه

قصيدة (نكسويّة) إذا صح التعبير، تعكس حالتين: حال انكسار الأمة، وترديها، وانتكاستها، وحال الشاعر المتعلق بالله تعالى، المطمئن لموعوده الحق، فلا يزال الأمل يضيء جوانحه، ولا يزال التوفيق يقود جوارحه؛ رغم انعقاد اللسان، واضطراب الجنان، وتكاثف الظلمة؛ فمن أولى من القدير المهيمن كاشف الضر أن يلجأ إليه الشاعر المؤمن، والإنسان الرقيق، والشاعر الرهيف؟

إن شراع السفين إذا انكسر، والألسنة إذا انعقدت - فزعًا أو دهشةً أو عجزًا - والليل إذا ألقى ظلامه، فإنها كلها أعجز من أن تبدد سكينةً ينزلها الكريم على قلوب المؤمنين، يلزمون بها كلمة التقوى، ويتعلقون من خلالها بدلائل النصر القادم:

ربـــاه إن عَـــزَّ المجـــيرُ بكربـــةٍ ... فلنـــا ببحـــــرك مِنَّـــةٌ ورجـــاءُ

خابـــت بنـــا الآمـــالُ وهْـــيَ وليـــدة ... أصـــواتُ عجـــزٍ مـــا لهـــا أصـــداءُ

كُسِر الشراعُ من السَّفِينِ فلم تعد تعـ ... ـحـــبو لبـــرٍّ يُـــرتجى ويُـــشاء

صـــمتَ الزمـــان فـــلا حـــديثٌ بيننـــا ... ولنـــا أحاديـــثٌ مـــضت.. بـــتراءُ

لُفـــت بثـــوب الغيـــب في ليـــل لـــه ... في كـــل خـــاطرةٍ تلـــوح.. عـــزاءُ

نـــصحو ونغفـــو لا تـــساؤلَ بيننـــا ... في كـــل عـــين نـــظرةٌ جـــدباء

والليـــل يـــأتي لا يثـــير قدومُـــه ... غـــير الـــرؤى.. ورؤى الـــسجين عـــزاء

تمـــضي تحطـــم في سُراهـــا قيدَنـــا ... فلنـــا بهـــا - رغـــم الـــدجى - إسراءُ

ونفـــيق بعـــد الليـــل في ليـــل الـــضحى ... وبكـــل قـــلبٍ وَقْـــدَةٌ وعَـــناء

لا شيء ينطـــق غـــير لحـــنٍ صـــامت ... عزفتـــه في ليـــل الأســـى الأنـــواءُ

أنـــا قـــد وقفـــت بـــباب ربٍّ قـــادرٍ ... يُرجـــى لديـــه النـــفعُ والإيـــواء

وكرهـــت أن ألقـــي لعبـــدٍ حاجـــةً ... فعبيـــــد ربي كُلَّهـــــمْ فـــــقراءُ

ولقـــد ســـئمت ســـؤالَهم فـــسألتُه ... وتركـــتُ ســـاحتَهُمْ وبِي اســـتغناءُ

أســـلمتُه ضـــعفي ليقـــوى عنـــده ... فالـــضعف عنـــد رحابـــهِ اســـتعلاءُ

يـا مـن وسِـعْتَ الكـون ربًّـا قـاهرًا ... أشـكو إليـك بأننـا سـجناء

أَخفـي مـن الإسرار عنـدكَ ظـاهرٌ ... ولـديك أطمـع أن يجـاب دعـاءُ

أرنـو لواحـاتِ الرضـا فياضـةً ... هـي للـشريد بظلِّـها إيـواء

عـصفت بنـا ريـحٌ ومـوجٌ غاضـبٌ ... عـصفت بنـا في ليـلنا الأرزاء

قـد ضـاق صـبري واللـسان يحـار في ... رسـم البيـان فيعتريـه بكـاء

وأكـاد أصرخ أسـتغيث بمـن لـه ... في كـل نازلـةٍ تحِـلّ وِقـاء

وأحمِّـل اللـيل الطـويل بأنَّـةٍ ... لـك لا لغـيرك.. لا سـواك غَنـاء

فأنـا عرفتـك واحـدًا متـنزها ... ملكًـا تفـرد.. مـا لـه شركـاءُ

فنزعـت مـن كـل الوجـود وجـوده ... فلـه الفنـاءُ.. وللعـظيمِ بقـاء

الله أنـزل في القلـوب سـكينةً ... لله في كـلِّ القـلوبِ نـداءُ

الله ربُّ العـالمين.. وربُّنَـا ... ولنـا بـه في النـازلاتِ رجـاءُ

الله ذِكْـرٌ في القلـوب ينيرهـا ... فطريقهـا رغـم الظـلام ضـياءُ

وغـدا سـيأذن للغريـب بعـودة ... لـديار خلـدٍ.. أهلُهـا الغربـاء

يـا صـاحب المعـروف جـودك سـابق ... منـك الثنـاءُ.. إليـك.. منـك عطـاء

يـا عـاليَ الأقـدارِ: جُـدْ بكرامـة ... سـمحاءَ.. تـشهد أننـا بُـرَآءُ

يـا مـن أذنـت لنـا بـذكرٍ طـاهرٍ ... آياتُـه تُـجلى بهـا الظلـماء

وجعلتنـا مـن أهـل أكـرم مرسَـل ... بـين الأنـام وأهـلُه الكرمـاء

العفـو عنـدك حـصن أمـنٍ يُرْتَجَـى ... العفـو عنـدك واحـةٌ خـضراء

أهفـو إلى الغفـرانِ.. أطلـبُ توبـة ... تـرضى بهـا.. وبقلبـيَ اسـتحياء

إحـسانك الفيـاضُ غيـثٌ غـامرٌ ... والكـفُّ خاليـةٌ فكيـف وفـاء؟!

رجب ١٤٠٧هـ

* * *

ببـابك

خفيفةٌ رصينةٌ، رائقة شائقة، قديمة عصرية، آملة متفائلة، منطلقة متدفقة، راجية آملة، راغبة راهبة، سياسية ربانية، راصدة مُرصِدة، مؤرخة موثِّقة، معاتبة مؤنبة، منبهة موقظة، أداها أبو مازن في إيقاع سريع جميل مناسب زاد جمالها جمالها، ومعانيها إشراقًا:

ببابـــك لـــن أغـــادره.. ولـــن أسعـــى إلى غـــيرك
سأنـــسج بالرضـــا ثـــوبي.. وأشرف أننـــي عنـــدك
وأحمَـــدُ حيـــنما تعطـــي.. وتُجـــري بالعطـــا كفَّـــك
وأحمد والقضا يبلو .. وأطمـــع في ســـنا عفـــوك
أراك بكل مـثمرة .. يـــسبح صنعُـــها باســـمك
ويـــروي القلـــبَ في ليـــل.. دعـــاءٌ.. فيـــضُه ذكـــرُك
أنـــا بالبـــاب أنفـــاسٌ.. يـــردد نبـــضَها حمـــدُك
أنـــا حـــسانُ لا مـــأوى.. وقـــد آوى إلى ظلـــك
أَجـــرْتَ الـــدين في أمـــسٍ.. وضـــاءَ الكـــونُ مـــن وجهـــك
رفعـــتَ لـــواءَه عـــزًّا.. يـــضم الأمـــنَ في ركنـــك
ويحمـــي قـــصة التوحيـــد يـــا ديَّـــانُ في أرضـــك
ويـــرجم هاتـــكَ الأعـــراض يـــستعدي عـــلى صـــبحك
وألمـــح جنـــدَك المأســـور يـــستجدي نـــدى قطـــرِك
وقـــد عثَـــرت قـــوافلُهم.. بـــوادِي التيـــهِ في بحـــرك
تطاردنـــا ريـــاحُ المـــوت.. صـــاغ ســـمومَها مُـــشرك
يُجمِّـــع كيـــدَهم بطـــشًا.. يـــروم النيـــلَ مـــن رَكبِـــك
ويغزل للمنى كفنًا .. لمـــن يرتـــاح في بُـــرْدِك
وقـــد مكـــروا بنـــا فـــامكرْ .. وكـــلُّ الخـــير في مكـــرك
إلهـــي منـــحةً تجلـــو.. ظـــلامَ الليـــل مـــن ليلـــك
وجُـــد بـــسحائب الغفـــران يعـــصرُ مزنَهـــا فيـــضُك

وبَـــدَّل ســـــوءنا حُـــسنًا.. فقـــد تُبنـــا.. وذا وعـــدُك
ودَثِّـــر عيبنـــا الفـــضاحَ يـــا منّـــاحُ في ســـترك
أذقنـــا شربـــةَ الإحـــسان يجلـــو همَّنـــا عفـــوُك
جراحـــاتٌ لنـــا تبكـــي.. يبـــدد دمعَهـــا فجـــرُك
وليـــلٌ حالـــكُ الإظـــلامِ.. يـــستهدي لنـــا نجمـــك
يزمِّـــل خوفَنـــا المطـــرودَ في بُـــردٍ بـــه أمنُـــك
ويُـــذهب غيظَنـــا المـــدفون في أعماقنـــا غوثُـــك
ويـــشفي صـــدرَنا المكلـــوم رَوْحُ العـــدل في حكمـــك
وثبتنـــا بـــرغم الهـــول.. كـــي ننجـــو إلى بـــرك
وأيـــدنا بـــرُوحٍ منـــك.. واصـــنعنا عـــلى عينـــك
وعَمِّـــر واحـــةَ الإيـــمان.. بـــالموفور مـــن فـــضلك
وحطـــم كـــل جبـــارٍ.. هـــوى الإفـــسادَ في حرثـــك
وأهْلِـــكَ نبتـــةَ التكـــريمِ والإشراقِ في خلقـــك
وألْزِمْنَـــا ســـبيلَ الرشـــدِ.. واحفظنـــا عـــلى عهـــدك
وأفـــرغ يـــا عظـــيمَ الجـــاه.. في الأعـــماق مـــن صـــبرك
ودَمِّـرْ كـل خَتَّارٍ .. كفـــــورٍ غـــــرَّه حلمـــــك
فـــولى ظهـــره للنـــور.. واســـتعلى عـــلى أمـــرك
وأودع خطوَنـــا قـــدرًا.. يُحِـــق الحـــقَّ في أرضـــك
ومر للرعـب يسبقنا.. ويهـــــــدم في ذرا خَـــــــصمِك
ومكـــن دينَنـــا الإســـلامَ.. دينُـــك مـــن لـــه غـــيرك؟!
وروِّ [1] غُلَّـــةَ الظمـــآن.. واللهفـــان.. مـــن نبعـــك
وســـدد ســـعينا للنـــور.. واجمعنـــا عـــلى هـــديك

(1) كانت: روِّي – بإثبات الياء المحذوفة – التي اقتضت الضرورة الشاعر أن يثبتها ليستقيم الوزن فعدلها الأستاذ عبد السلام إلى (وأنقِع) وأثبتا ما كتبه الشاعر، مع حفظ القاعدة النحوية.

وبـــدِّل ضـــعفنا عـــزمًا.. يـــردُّ الـــشرَّ عـــن أهلـــك
أقِمنا حيثما ترضى .. وثبتنـــــا عـــــلى نهجـــــك
لتُـــشرقَ كـــلُّ يابـــسةٍ.. يثـــير غبارَهـــا جنـــدُك
وتربـوَ كـلُّ سنبلة .. يبلـــــل عودَهـــــا غَوثُـــــك
ليحيـــيَ موتـــةَ الأجيـــال سِرٌّ ضَـــمَّهُ وحيـــك
نُكَـــبِّر باســـمك الأســـنى.. ويعلـــو الـــصوتُ في كونـــك
نلبـــي داعـــيَ الـــرحمن.. نزهـــو في ضـــحى نـــصرك
إلهـــي حـــسبُنا أنّـــا.. نـــسبح في الـــدجى باســـمك
قلـــوب هزهـــا التوحيـــدُ.. ردد حيُّهـــا [1] حبَّـــك
ونهتـــف في جبـــين الـــصبح.. حـــين يقـــال: مـــن ربُّـــك
إلهـــي خـــالقَ الأكـــوان.. لا أســـعى إلى غـــيرك
إلهـــي فـــالق الإصـــباح.. أَشْرُف أننـــي عبـــدُك [2]

مَتعبان محمد الطحان رمضان محرم م

* * *

(1) كانت في الديوان (حققها) والتصحيف الشديد واضح مع كسر الوزن واقترح عبد الله رمضان هذا التغيير « حيَّها » وأراه أفضل. أظنها (حقها) وهي صحيحة وزنًا وتنسجم مع لغة الشيخ وإضافاته الصوفية.. يعني سيادتك غلطان..

(2) أثبتنا هذه القصيدة على هيئة أسطر هكذا، وحيث إن هناك أبياتًا موصولة الشطرات، وهي التي لم نضع النقطتين فيها (..) حتى لانقسم حروف الكلمة بين الشطرين.

خطبة مسلم

رغم شاعريته المحلقة، وشفافية نفسه، وعشقه - شأن الشعراء - للجمال، ورغم رغبته فيها، فقد خوفوها منه، لأنه ليس كغيره من الرجال الحالمين؛ بل هو نسيج وحده بين الناس، وإيضاحًا للحقيقة يستعلي على نزوعه للحسن، وعلى مطالب شاعريته، ويذكر لها حيثياته[1]:

نعم أعشق الوصل بعد الرضا ... وأسبح في روضه.. أنعمُ[2]

وأبدي الرغائبَ مشبوبة ... طواها الحياءُ.. فلا تضرَمُ

أَخَبِّئُهَا في حنايا الضلوع ... فأضحت حلالاً فلا تَحْرُم

رؤىً سابحاتٌ بخضرِ المروج ... وسحرٌ.. به العينُ لا تأثم

ولفظة وُدٍّ سرَت باللسانِ ... فيأسو ويحنو.. ولا يغرم

وكف تلملم ثوب الشتات ... وتمسح جرحًا كساه الدمُ

ولم أكتم الحب لما بدا ... فرَقّ الفؤادُ.. وباح الفمُ

ولم يبق إلا لقاءُ العيونِ ... فتبدي حديثًا بها يُفهم

مضى القلب يغزل أفراحه ... وقلبيَ في الجد لا يُحجم

أيا قلبُ رفقًا؛ لأن المنى ... ضريرًا تُعثِّرُ إذ يُقْدِم

وفي الدرب همسٌ بـ« لا تقبلي » ... لأن الغريب هنا يحرم

لأنا بسطنا شراعَ الضياء ... فصاح الجبابرُ أنْ أَظْلِمُوا

طريدٌ أنا في ظلال السجون ... كأنِّيَ في شرعهم مجرم

غريبٌ يلاقي صنوف العذاب ... ويشرب كأسًا بها العلقم

شريدٌ تجوب خطاه الديارَ ... فمن يمنع البطش أو يعصِمُ

---

(1) مقدمة الأستاذ عبد السلام البسيوني.

(2) كان شطر البيت الثاني: (وأسبح في روضة وأنعم) يقول د. حسن البيت مكسور ويسلم بحذف واو العطف فيكون (وأسبح في روضة..أنعم) وأثبتنا التصحيح هنا.

ولم يـــرض للنـــاس أهـــواءهم ... وأن يلبـــسوا الـــشر أو يطعمـــوا
ومـــا فيـــه تـــسرف أحلامُهـــم ... ومـــا زيّـــنوه ومـــا نغَّـــموا
ويهتـــف أَنْ باطـــلٌ سَـــعْيُكُمْ ... فَتَـــصْرُخُ أَصْـــوَاتُهُمْ: حَطِّمُـــوا
فمالـــكِ هِمْـــتِ بهـــذا الغريـــب ... وهـــل تحملـــين الـــذي يعـــزم؟
وأنـــت الرهيـــفةُ لا للفنـــاءِ ... تـــزف.. ولكـــن لمـــا يـــنعم
لطيـــب الحيـــاة وهفـــهافها ... لرغـــدٍ مـــن العـــيش يُـــستطعَمُ
أَلـــيْلايَ قـــد صـــدَقوك المقـــال ... ولكـــنَّ لي قَـــوْلَةً تـــسهم
بأشـــواقها الخـــضر صـــدقُ الحـــديث ... يـــروِّي الجوانـــحَ لا تفطـــم
نعـــم للـــسجون وبطـــن الكهـــوف ... وقلـــب الـــصحاري أنـــا أطعـــم
لـــسوطٍ يمـــزق نـــسج العـــروق ... ويغتـــالني ســـكرُه المبهـــمُ
ولكننـــي رغـــمَ كـــلِّ العـــذابِ ... أحـــس الأمـــانَ وأستلـــهمُ
لأن القلـــوب بهـــا فيـــضُها ... لأن الـــسماء لنـــا تعـــصم
ونبـــصرُ حـــين يَـــضِلُّ القطيـــعُ ... وإن يجهلـــوا رشـــدَهم نعلـــمُ [1]
ونـــصبر إن أضرمـــوا بطـــشهم ... وحـــين نُـــشَرَّدُ أو نُـــظْلَم
وحـــين نُقَـــتَّلُ أو نُـــستباحُ ... فـــنحن الأماجـــدُ والأكـــرم
ونحـــن الرجـــال إذا أطبقـــت ... عـــوادي الزمـــانِ فـــلا تـــرحم
وإن ناحـــت البـــومُ في دارهـــم ... فأضـــحَوْا هبـــاءً فلـــم يعزِمـــوا
لأنـــا وُعِـــدْنَا بطيـــبِ الجِنَـــانِ ... تطـــوف بهـــا الـــروحُ إذ تُحـــرَم
لنـــا زُيِّـــنت حورُهـــا الحانيـــات ... فتمـــسح عـــن رأســـنا.. تلـــثِمُ
وفي الليـــل إذ نرتـــوي بالـــسجود ... تُطـــل بأفراحـــها.. تبـــسِمُ
تنـــادي بهمـــسٍ كلحـــن الطيـــور ... أنـــا الـــشوق والـــدفء والمغـــنم
نعـــم أعـــشق الوصـــل بعـــد الرضـــا ... لأن المـــشاعر لا تُـــرغَمُ

(1) ليتها تكون: إذا جهلوا رشدهم نعلم، لتصح نحوًا. عبد السلام.

كلانـــــا ســـــيدركُ في عمـــــر قـــضاءً جـــرى سرُّهُ المحكـــم
ختامًـــا لـــك الخـــير تجـــري بـــه يـــد الله تعـــطي ولا تَحـــرم
وَكَلْـــتُ لـــه الأمـــر لا أبتغـــي بـــديلاً إذا اختـــار مـــا يقـــسم

شعبان حمادان رمضان محرم

* * *

أزفـت

ضراعة لله تعالى وشكوى من عسف الباطل وعنفه، ومن شدته وصلفه، وفيها تثبيت للمؤمنين، وبث للأمل في نفوس المستضعفين، وبشارة بأن الفجر - الكامن في الجراح - تبدو طلائعه..

وقد أنشد أبو مازن هذا النشيد منذ شهور قليلة، بعد انقطاع دام ثلاثة عقود في شريطه العاشر الذي يحمل اسم القصيدة!

أزفـت.. ولـيس لردِّهـا أحـدٌ سـواك
وبـدت تطـل برأسـها نـذرُ الهـلاك
الـنفسُ (1) حـيرى.. والظـلامُ يخـيم
والنـار تـسري في الهـشيم تُحطِّـمُ
والغمـةُ الحمـراء تكـشف وجهَهـا
وتُبِـينُ في اللـيلِ المجلِّـل كيـدَها
وبيـوتُ ذكـرِك فُزِّعَـتْ أسرابهـا
ومـضى عـدوُّك - نـاقمًا - لخرابهـا
ومـضى دعاتُـك في القيـود لأسرهـم
والأمـرُ يـسبق للعبـيد بقهـرهم
فلتغلقـوا الأبـواب ولْتُعلـوا الجـدارْ
حتـى تقـام مـآتمٌ في كـل دار
ولتعـصِفوا بالـشِّيبِ مـن قبـل الـشباب

(1) كانت: الناس حيرى.. وهو لا يصح.

فالـــشيخ يخفـــي بـــين شيبـــته الحـــراب

وليـــسخط الـــسوطُ المحمـــل بالعـــذاب

ولتجمعـــوا شـــذاذكم مـــن كـــل غـــاب

ولتهتكـــوا حرمـــاتِ أشرافِ النـــساء

ولتـــضحكوا ممـــا يغـــارُ لـــه الحيـــاء (1)

ولتعـــصروا الأحقـــادَ في الليـــل الحـــزين

تنـــزو ســـوادًا يـــستزيد مـــن الأنـــين

فالـــدين ديـــن الله.. نحـــن عبيـــدُه

فلـــيُحكمِ الطـــاغي عليـــنا قيـــدَهُ

فعـــلى الطريـــق طلائـــعٌ خلـــفَ القبـــور

أبنـــاءُ مـــن ســـقطوا.. أتَـــوْهم بـــالزهور

فالركـــب لا يُـــضنيه جـــرحٌ غـــائرُ

والركـــب لا يُفنـــيه ليـــلٌ جـــائرُ

الركـــب أكـــبر مـــن شـــهيدٍ راحـــل

والركـــب أبقـــى مـــن شـــقي زائـــل

والواهمـــون سيـــسقطون إلى الـــضياع

فـــالوهم لا يقـــوى عـــلى طـــول الـــصراع

---

(1) يرى د. حسن أن هذا البيت مكسور.. واقترح لتصحيحه أن يكون الشطر الأول هكذا (ولتهتكوا الحرمات في خير النساء) ويرى الشاعر عبد الله رمضان أن يكون أشراف بدلاً من أشرف ورأينا تركه هكذا كما أورده الشاعر حيث لا يوجد خلاف كبير في المعنى وإن انكسر البيت فالتصرف الكبير في النصوص غير مستحب ما دام باستطاعتنا الاقتراب من الأصل و(أشراف) خطأ لغوي يا دكتور.. لأنه وصف للمذكر، عبد السلام)

لم تـــبكهم [1] أرض تـــروَّت بالـــدماء

لـــن يحتفـــي بلقائـــهم أهـــلُ الـــسماء

لا مـــــرحبًا بهـــمُ.. بكـــلِّ الظـــالمين

يـــا ســـوءَ مـــا يخفـــيه لَـــيلُهُمُ الحـــزين

قـــسمًا بـــربِّ لـــن تهـــون شرائعُـــه

الفجـــر تكمـــن في الجـــراح طلائعُـــه

وغـــدًا يجيـــب لنـــا المجـــيرُ دعاءَنـــا

ودموعَنـــــا وصـــــلاتَنا ورجـــــاءنا

وغـــدًا نـــرى مـــن يمكـــرون بـــديننا

يـــستنجدون مـــن اللهيـــب بغيثنـــا

وغـــدًا سنـــضحك مـــلء كـــلِّ قلوبنـــا [2]

في دار خـــــلد زُينـــــت بحبيبنـــــا

* * *

(1) كان البيت يبدأ بـ (لن تبكهم) حيث جزم الفعل المضارع المسبوق بـ (لن) وحقه النصب (لن تبكيهم).. ولكن النصب يكسر البيت.. واقترح د. حسن أن تكون (لن يحزنوا أرضًا)..ولكن الشاعر استلهم قوله تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ فقصد كلمة (تبكيهم) وعدل الأستاذ عبد السلام البيت كما هو مثبت هنا (لم تبكهم) فاستقام الوزن والنحو.

(2) لم تكن (كل) موجودة، فرأى فريق العمل كله أنه لا بد من إضافتها لهذا الشطر ليستقيم الوزن فيصبح (وغدا سنضحك ملء كل قلوبنا) ولعلها سقطت أثناء الطباعة في المرة الأولى .

يوم الحبيب صلى الله عليه وسلم

احتفاء بالنبي ﷺ بطريقة إبراهيم عزت رحمه الله، مشحون بالشوق والحب، والإدارك لجوهر رسالة الحبيب محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، فبقدر ما رآه بابًا للشفاعة والرضا، وأهلاً للحب والإجلال، وذا خصائص يتفرد بها دون العالمين، لم يهمل شد الفهوم إلى الواقع المزري، وأن يضع اليد على جراحات الأمة ومعاناتها، وتحدَّى رياح الشر أن تعصف، وحنجرة الباطل أن تزأر، فما كان ليبالي بهذا كله، وأضعافه، فإن الشهادة في سبيل الله شرف، وإن الدماء المطهرة التي تسيل، هي ثمن بخس؛ إذا كانت العقبى الجنة:

يـوم الحبيـبِ الـذي تُـرجى شـفاعته
مـن نـور سنـته تـزهو مَراعينـا
يتلـو الكتـابَ الـذي يهـدي القلـوب إلى
مـن أبـدع الكـون.. إذ ذكـراه تزكينـا
يـوم الحبيـب الـذي يعفـو الإلـه بـه
ويمنـح الـصفحَ عـن كـل المُعـانينا
يـوم الحبيـب الـذي يُطـوى الرجـاء بـه
حتـى يجـاب دعـاءٌ.. قبـلَ آميـنا
يـوم الحبيـب الـذي مـن جـاءه وجِـلاً
مـستغفرًا ربّـه.. يـرضى ويرضـينا [1]
صـلوا عليـه حبيـبَ الله مـا ظهـرت
ملامـحُ النـور في داجـي لياليـنا
صـلوا عـلى مـن دعـا لله محتـسبًا
ومـن لـساحته يهـفو المحبونـا
ومـن جـرى المـاء نهـرًا مـن أصـابعه
فهْـوَ الغـمامُ الـذي نُـعماه تـسقينا
صَلّوا عليهِ.. صِلُوا حبلَ القلوبِ بِهِ

---

(1) يريد قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ ﴾ [النساء].

وعطـــروا الكـــون مـــن ذكـــراه تـــشجينا

صـــلوا عليـــه صـــلاةَ الحـــب.. نـــاضرةً

بمـــــا يليـــق بقـــــدرٍ شـــامخ فيـــــنا

صـــلوا عليـــه؛ فقـــد عمـــت بـــشائرُه

منـــاصي(1) الـــروح فاســـتهدت بهـــادينا

إن الملائـــك قـــد صـــلت مـــواكبُهم

لَبَّـــوْا لأمـــرٍ مـــن الرحمـــن باريـــــنا

صـــلوا عليـــه فـــرب العـــرش يـــسبقنا

إلى الـــــصلاة.. وطـــــوبى للمـــــصلينا

إن الـــصلاة عـــلى المختـــار مكرمـــةٌ

مـــن نالهـــا نالـــه ســـعدٌ يـــوافينا

وهْـــيَ المـــودة.. إذ تبـــدي دلائلهـــا

والحـــب يظهـــر معنـــىً.. في مآقينـــا

يـــا ربَّ أحمـــدَ: جُـــدْ بالمـــدح متـــصلاً(2)

بـــسيد الخلـــق.. كـــي تـــسمو قوافينـــا

بالبـــاب أَرْسِـــلُ آهـــاتي معذبـــةً

إنـــا بأعتـــابكم نـــشكو.. أجيبونـــا

يا أكرمَ الرُّسْلِ وَجْدٌ في القلوب سرى

فاسترســـل الـــشوق يعـــصِرنا ويطوينـــا

يـــا ســـيد الخلـــق فامـــسحْ غلـــةً ظمئـــت

والحـــبُّ مـــن كأســـكم يـــروي ويرضـــينا

لا شيء نملـــــكه إلا محبتُـــــكم

نرجـــو بهـــا نـــسبًا.. بـــين المريـــدينا

يـــا ســـيد الخلـــق إن العـــجز يحرمنـــي

---

(1) لم يفهم الأستاذ عبد السلام (مناصي)كما أخبرني فبدلها إلى (نواحي) وأظن منـاصي قـصد بهـا الـشاعر جمع ناصية.. وأبلغ منها (نواصي).

(2) من هنا بدأ (أبو مازن) الإنشاد في نشيده (سيد الخلق).

مـــن عذبـــة القـــول في الـــذكرى لراعينـــا
يـــا ســـيد الخلـــق.. لا فـــرحٌ يـــداعبنا
والـــريح تـــزأر حمقـــى في صـــحارينا
والعـــين تلمـــح أعـــداءً لنـــا مكـــروا
وأشـــعلوا النـــار في ريَّـــا روابينـــا
يُهَـــدِّمُونَ صُرُوحَ الخـــيرِ مـــا وَسِـــعَت
يَـــدُ الـــدمار.. ليـــدنو مـــن مغانينـــا
يـــا منـــة الله للـــدنيا ورحمـــتَهُ
للعـــالمين.. أتينـــاكم فزورونـــا
فلتعـــصفي يـــا ريـــاح الـــشر إن لنـــا
جبـــالَ شـــهْبٍ عـــلى الـــساحات تنجينـــا
هـــذي الدمـــاءُ التـــي تجـــري مطهـــرة
ســـتنبت الـــشوك في الأحـــشاء غِـــسلينا
إن الـــشهـادة في أمجادنـــا شرف
وجنـــة الخلـــد حُـــسنى ســـوف تغنينـــا
فـــأكثِرِ الـــذكر للرحمـــن في ســـحر
فالليـــل يـــشهد مـــا يتـــلو المناجونـــا
والفجـــر يعـــرف للقـــرآن منزلـــة
شـــهدت برفعـــتها آيـــات مُنـــشينا (1)
الله أكـــبر.. مـــا صلـــت مـــواكبُكم
وضـــج ساجدكُـــم بالـــدمع.. راجينـــا
الله أكـــــبر.. إن الله منتـــــصر
للحـــق في أرضـــنا.. فامـــضوا ملبينـــا

شوال رجب رمضان محرم

(1) في وزن هذا الشطر كسر لم نشأ تصحيحه حفاظاً على المعنى، وإن رأى الشاعر عبد الله رمضان غير ذلك كما بينا في المقدمة وغيره أبو مازن (مشينا) عند إنشاده إلى (بارينا)..

المادحون

في ذكرى الإسراء والمعراج، تقليديةٌ، ركزت على المعاني المتداولة في مثل هذه المناسبة العظيمة، استلهم فيها أحداث السيرة النبوية الغراء؛ لكنه - كعادته - لا ينسى التبشير بالفجر القادم، والصحوة التي ستعيد قيادة الدين للحياة، ويقظة العملاق الذي سيملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جورًا:

المادحـــــون تـــشرفوا بمديحـــه
والعاشـــــقون تنـــــعموا بهـــــداهُ
والمخلـــصون تـــأدبوا بمقامـــه
والمخلـــــصون تـــــشفعوا بحـــــاه
والجنـــة الخـــضراء أبـــدت لهفـــةً
وتحركـــــت أشـــــواقُها للِقـــــاهُ
وسرت إلى الأمـــلاك عـــذب بـــشائرٍ
إن الحبيـــــب يحـــــين وقـــــت سُراه
يـــا خـــير خلـــقِ الله ذكـــرُك مـــؤنسٌ
حـــسبي بهـــذا الـــذكر أن ترعـــاه
أسرى بـــك الـــرحمنُ أســـعدَ مرسَـــلٍ
لتـــــنال قربًـــــا جـــــلّ في معنـــــاه
صـــليت بالرســـل الكـــرام جميعِهم
أنـــت الإمـــام.. وكلَّهـــم يرضـــاه
جُـزْتَ الـسماءَ وجـزت مـا بعـد الـسما
شرُفَ الفـــــؤادُ وكُرِّمـــــت عينـــــاه
كـــل لـــه حـــدٌّ.. ويرجـــع عنـــدهُ
والمـــصطفى فـــوقَ الحـــدود مـــداه
جبـــريل قدمـــه لحـــضرة ربِّـــهِ

والـــسرُّ فـــوق الـــسر مـــا أوحـــاه
أقـلامُ غيـبِ الحـق أنـت سمعتَـها
وصريفُهـــا يجـــري بفَـــصْل قـــضاه
ورأيـــت آدم فاستـــنار جبينُـــه
يـــا قـــرة العـــين التـــي تغـــشاه
أنـــت المقـــدَّم.. والمقـــدِّم غـــيره
والكـــل يـــستهدي بنـــور هـــداه
يحيـــى وعيـــسي رحَّـــبا بمحمـــدٍ
بـــشرى المـــسيحِ.. تحققـــت بـــشراه
ورأيـــت يوســـفَ والجـــمالُ يحوطـــه
والحـــسنُ أنـــت جلالُـــه وبهَـــاهُ
وعرفـــتَ مـــن رُفعـــت لـــه درجاتـــه
إدريـــسَ صـــديقًا.. وصَـــدّقناه (1)
هـــارون.. موســـى.. والـــدعاءُ معطـــر
نعـــم الإخـــاء.. إذا التقـــى مرمـــاه
ومـــن الخليـــل حملـــت حُلـــوَ ســـلامه
للمـــسلمين.. ونعـــم مـــا أهـــداه
والبيـــت معمـــورٌ بـــأشرف طـــائف
وملائـــكُ الرحمـــن في مـــسعاه
والـــسيد المختـــار يـــشرق ظـــاهرًا
جـــلَّ المـــديحُ بـــذكره ودعـــاه
جـــاز الخـــوارقَ كلَّهـــا متفـــردًا
لا الكـــونُ يحجـــبُه ولا مبنـــاه
صـــلوا عليـــه.. تعلقـــوا برحابـــهِ
يـــا طيـــب هـــذا الجـــاه؛ مـــا أعـــلاه

(1) يرى الشاعر عبد الله رمضان أن هنا سقطًا، ولكن سمعتها من فم الشيخ يرحمه الله هكذا.

الله أكـــــبر.. إن رَكْـــــبَ محمـــــدٍ
ظهـــــرت بـــــشائرُه.. وعـــــمَّ ســـــناه
والـــشِّرعةُ الـــسمحاء يبـــدو نورُهـــا
يجلـــو ظـــلام الليـــل.. مـــا أقـــساه
والـــدينُ عـــاد إلى الحيـــاة يقودهـــا
أكـــــرِم بـــــه مـــــن قائـــــدٍ نلقـــــاه
ومـــساجد الـــرحمن يعمرُهـــا التقـــى
واســـــتيقظ العمـــــلاق مـــــا أقـــــواه
فاستمـــــسكوا بـــــالله واحمـــــوا دينـــــه
وغـــــدًا ســـــنفرح بالحبيـــــب.. نـــــراه

محرم رجب رمضان محرم

* * *

مصعب بن عمير رضي الله عنه (*)

مشهد مسرحي شعري - على قصره - مُكَثَّف، ولفت الأنظار في السبعينيات لروح جديدة في أشرطة أبي مازن؛ لأنها نحت منحىً مختلفًا عن جمهرة قصائد الأشرطة.. لكن من هو مصعب هنا؟

هل هو ذلك الصحابي الشاب الناعم المدلل، الذي ترك الدنيا خلف ظهره، عَجَلاً إلى الله تعالى ليرضى عنه؟ أم هو تنبيهٌ لرمز سيقوم، يريد وجه الله تعالى – رغم الدنيا وزخرفها؟ أم هو الشاعر نفسه، الذي بحث عن الحق حتى وجده فلم يلتفت، وجعل الدعوة إليه هجيراه وهدفه الأسمى؟:

وكان مصعبٌ معطرًا
بأندرِ العطور
وكان يلبس الحريرْ
وكان شامةً أحبت الحياة
وزهرةً تنفَّست روائحَ النعيم

***

وفجأةً تغيرت ملامحُه
وحينما رأته أمُّه تجهمت
نادت أباه:
- يا عمير:
صغيرُنا الحبيبُ مُثْقَلٌ بسرِّهِ
لا بد أنه أحب!

***

- هوِّنْ عليك يا فتى
لو أن من أردتَها تقيم في القمرْ

---

* في هذه القصيدة نوَّع الشاعر بين تفاعيل بحري الكامل والرجز كما بين. عبد الله رمضان.

لو أن دارَها بعيدة
عصيَّـةُ السفر
لو أنها تقيم في جناح طائرٍ
أو بين أنفس الدرر
لأتت إليك - إن أمرتَ - دون لمحة البصر

***

ضَحِكَ الجميع حولهُ
لكنه لم يبتسم
وسرى الوجومُ قاسيًا
على مشارفِ النغم
وطال صمتُـهُ
حتى انتهى مطافُ صبرهم

***

فتحركت في البيت صيحةُ الغضب
لا بد من نهايةٍ لذلك العجب
ولم تطل إجابتُـهْ
في لفظتين قالها:
- لا إله إلا الله، محمد رسول الله
وتحرك الطوفانُ نحوهُ
لكن سرَّه المنيعَ صـدَّهُ

***

- أمي.. أبي
لقد عشقت نوره[1]

(1) يعني الحبيب النبي ﷺ وآله وصحبه وسلم.

عيناي تبصران حينما أراه
وحينما يردد الحديث مشرقًا
أحِسُّ أنه يقدِّمُ الحياة
يحرر القلوبَ؛ كي تسبح الإله

***

- أمي.. أبي:
قد عاود النداءَ صوتُـهُ
وإنني أدعوكما؛
فلتذهبا معي إليه

***

- يا للأسى
لن أنتظر
دعانيَ الحبيبُ أن أجيب
لبيك يا حبيب
لبيك يا حبيب

***

وحينما تحركت خطى الوداع في الطريق
لم تكتم العيونُ دمعها
لأنه أحبهم
لأنه إذا ابتدا المسيرَ
لن يعود!

* * *

إســـراء

آيـــاتُ ربي - عـــلى الأيـــام - باقيـــةٌ
ولليـــالي بهـــا حَـــجْبٌ وإفـــضاءُ
ثمارُهـــا في ظـــلال الغيـــب دانيـــةٌ
والغيـــب في سِـــتره سرٌّ وأضـــواء
يعطـي لمـن شـاءَ.. والإعطـاءُ منحتُـه
أقـدارُه فـوق مـن شـاؤوا.. ومـا شـاؤوا
وهْـوَ الـذي كونُـه يُطـوى بقبـضته
الله أكـــبر.. للقهـــار أســـماء
لـولا رجـائيَ مـا فاضـت منابعُـنا
بمـدح مَـنْ ذكـرُه فـضلٌ وإيـواء
قـد ينفَـدُ البحـر.. والآيـاتُ زاخـرةٌ
وللقـــلوب بهـــا رِيٌّ وإظـــماءُ
ألقيـتُ بـالروح في أمواجـه فرِحًـا
سَـبْحُ المـسبّحِ ترجيـعٌ وإصـغاء
أرجِّـع الـشوقَ في الـدنيا.. أردِّدُه
لحنًـا.. يطيـب بـه مـدحٌ وإطـراء
أسرى فكـان لـه بالفـضل معجـزةً
آيـاتِ حـق.. لهـا خفـقٌ وأصـداء
يـا قـدسُ.. يـا حرمًـا ديست مهابتـه
وحـلَّ فيـه لهـذا الـشرع أعـداءُ
أنَّـى تعـود إلى المحـراب حرمتُـه؟!
والمـسلمون بكـل الأرض أشـلاءُ

حادوا عن النهج؛ فاستعلت خصومهمُ

فليس يعلو سوى وهمٌ.. وأهواء [1]

سِرٌّ سرى من حبيبِ الله نعرفه

ولا يكونُ له وصفٌ وإفشاء

أَمَّ الكريمُ كرامَ الخلقِ كلِّهمُ

وإذ أتى المصطفى أبصرتَهم جاؤوا

شرابُه لبنٌ.. طابت منابعه

لا الخمرُ في زاده يحلو.. ولا الماءُ

ولا الزمانُ هنا ندري حكايتَه

ولا المكانُ له وزنٌ وإغراء

الله أكبر من في الكون غيرُهمُ؟

ربٌّ.. وحبٌّ.. وتكريمٌ.. وإعلاءُ

رحماك بالنفس دون الغيب غايتُها

فالأمر وحيٌ.. وتشريفٌ.. وإسراءُ

يا حاديَ الروح: طابت كلَّ خاطرةٍ

بالحب يدفعُها شوقٌ وإعياءُ

تهفو لبابك كي تحمي ضراعتها

فالدين يبكي.. وكم في الليل بكَّاء[2]

نوافذ الغيب لا تفنى عجائبُها

وكم لنا أملٍ في الله وضَّاء

---

(1) قال الأستاذ عبد السلام: قوله (فليس يعلو سوى وهمٌ وأهواء) خطأ، ولحن جلي، و إقواء عروضي، واقترح ان تكون (فكل هم الورى وهم وأهواء)..

(2) من حق (بكاء) و (وضاء) أن تكون مجرورة لا مرفوعة، وهذا لحن نحوي واضح.. عبد السلام.

والمـــسلمون كثـــيرٌ غـــيرَ أنهـــمُ
لنـــور هـــديك مـــا عـــادوا ولا فـــاؤوا
والعاديـــاتُ خطـــوبٌ.. أنـــت تعرفُهـــا
عـــزَّ الـــدواءُ لهـــا.. واســـتفحل الـــداءُ
هـــذا الفـــؤاد[1] إلى الـــرحمن أطلقـــه
والمرتجـــى عنـــده صـــفحٌ وإعطـــاء
وهْـــوَ الهـــوى في حنايـــا القلـــب نظهـــره
فالحـــب في شرعنـــا ديـــن وإحيـــاء

* * *

(1) كان البيت (هذي يداي إلى الرحمن أطلقها) ولا يوصف المثنى بالمفرد.. فهذا خلاف القاعدة.. عبد السلام.

يا رسول الله جئنا

لعل هذه القصيدة كانت في إحدى رحلاته للعمرة [1]، قالها باثًّا أشواقه لرسول الله ﷺ وللحرم المدني الشريف، يتأمل وديانه وجباله، ويتحدث عن الشوق الذي ينتاب حتى الحجارة، فيحيلها قلوبًا ذات مشاعر رقراقة. والقصيدة من أحلى ما أنشد أبو مازن:

أسفر الفجرُ ولاحت ... من ثنايا البشائرْ
وأتينا يا حبيبي ... وجناحُ الشوقِ طائرْ
ما ركبناها مطايا ... بل قلوبًا ومشاعر
كلما أطرب حادٍ ... جدَّ في السيرِ المهاجر
يا رسول الله جئنا ... تسبق الخطوَ الضمائر
رحمةَ الله أتينا ... يا شفيعًا للعشائر
هذه كلَّ منانا ... ونسيمُ القرب عاطر
جئتُ للنور لأجلو ... كلَّ ساحاتِ الخواطر
أطلب البرءَ لسقم ... لا يراه غيرُ قادر
أطلب الفضل عطاءً ... تحتمي فيه السرائر
أطلب الزاد لقصدٍ ... لا يدانيهِ مسافر
أطلب الجودَ بدارٍ ... جودُها كالبحرِ زاخر
هذه الوديانُ تروي ... عزَّها بين الحواضر
والجبالُ الشمُّ تدري ... كلَّ مشتاقٍ وزائر
ولها حبٌّ شكَتْهُ ... فحكته.. لم تحاذر
فإذا بالصخرِ قلبٌ ... حنَّ فاهتزَّ كشاعر
يسمع الأمرَ فيصغي ... ويلبي خيرَ آمرِ

(1) بَيَّن الشيخ - في حديث للتليفزيون الإماراتي - أنها كانت في رحلة حج. والمقدمة لعبد السلام.

ذاب مـــن وجـــدٍ طروبًـــا ... ورســـــولُ الله حـــــاضر
يـــا نبيِّـــي يـــا حبيـــبي ... غيثُـــك المحمـــودُ غـــامر
كفَّـــك العـــذب يُـــروِّي ... كـــلَّ مغفـــورٍ وحـــاسر [1]
كفَّـــك العـــذبُ عيـــونٌ ... أشـــبعت يـــومَ المخـــاطر
ماؤهـــا يـــشفي علـــيلاً ... داؤُهُ خـــافٍ وظـــاهر
جئـــت يـــا عينـــي وقلبـــي ... ذاك ربحـــي إذْ أتـــاجر
مـــا بقلبـــي لا يُبَـــدَّى؟ ... فاكـــشف الحجْـــبَ لنـــاظر [2]

* * *

(1) المغفور عكس الحاسر، وهو المغطي رأسه.

(2) كتب لي الأستاذ عبد السلام: يا د. أكرم: لم أفهم المراد بالبيت الأخير، فأرجو مراجعة الأصل، وعلق الشاعر عبد الله رمضان عليها قال: « ربما كانت بيدي » فيرى مراجعة الأصل.. وهي هكذا في الأصل «لا يبدَّى ».. ومعناها: (لا يظهر)، **ومعنى البيت** إن كل ما في قلبي من مشاعر هذه اللحظات لا أقوى على إبدائه، أو لا تقوى الكلمات على وصفه، فأسألك يا رب أن تكشف لي الحجب؛ لأرى بعين قلبي ما ينفعل داخله. وهي لحظة وجد وحب. وأظن أن الشيخ رحمه الله يصدق على قول علماء الصوفية مثل الجنيد والغزالي أن كثيرًا مما في قلوبهم، لا يستطيعون الإفصاح عنه.. ومن يفصح عنه منهم فقد يخلط في الكلام.. فهو يقف عند حد الأدب، ويطلب من الله الكشف لما حجب عنه.

حبيبتي.. بلادي[1]

بكائية دامية على الوطن، و(نكسويةٌ) من إفرازات الهزيمة المرة التي منيت بها الأمة التي ركضت وراء السراب، وصفقت للنمور الورقية، وانخدعت بالمواكب الاستعراضية الزائفة، التي أعشت عيونها عن الوطني الحقيقي، الذي كان مستعدًا - بمنتهى الحب والطواعية - أن يعطيها دمه وماله، وكل ما يستطيع؛ ببساطة لأنه صادق في حبها إياها، ولأنه يراها تستحق هذا العطاء والسخاء!

وهي إضراب إبراهيميٌّ عن الكلام، والكتابة، بعد أن عي اللسان، وانقصف القلم، وذَهِل اللب، فلا يستطيع - لهول ما علم ورأى - أن يصدق أو يقبل! ثم يتراجع في النهاية - لما يرى من بقايا الرجاء - ويطلب من بلاده الحبيبة أن تزيل قيوده، ليستعيد لها عزها، ويسترد كرامتها.. فهل من سميع؟!

حبيبتي
قد كنتُ أصنعُ الكلامَ من دمي
وكنتُ أعزفُ النشيدَ هامسًا
لعله إلى الفؤاد ينتمي
وكنت أكتبُ الحروفَ واحدًا فواحدًا
لتقرئي.. لتفهمي
وكنتُ يا حبيبتي وكنت

***

والآن يا حبيبتي
لن أكْملَ الحديث
وإن بدا مشوِّقًا
فليس ما أريدهُ إثارةَ الطربْ
أو أن تحركي الشفاهَ من دلائلِ العجب

(1) هذه القصيدة من أروع ما قرأت في الشعر الحديث وواضح حبي لها أني رددتها في هذا الكتاب في أكثر من موضع. أكرم

ولن أُتـمَّ يا حبيـبي النغم
فقد رأيتُ ما يحرِّمُ النشيد ألف عام
فصرتُ كلما
بدأتُ في الغناء
أجهشتُ بالبكاء

***

لن أُمسك القلم
فالرعشةُ التي سرَت في قلبيَ المنهوكْ
أصابت المواقعَ الخضراء بالعقَم
فلم تعد تجيدُ غيرَ نبضةِ الألم

***

لن أكملَ الحديثَ يا حبيـبتي
فشمعتي في ليلة الجفاءِ أُطفئـت
وأكذَبُ الأصواتِ في هواك
قد علت
وقصة الكلام كلُّها
قد انتهت

***

حبيبتي
وكلُّهم بالأمسِ كان في الهوى متيمًا
حبيبتي
وأين هم؟

في ليلك الحزين
وأين يا حبيبتي الأمير زائرًا
في الموكب الكبير
يملأ الطريقَ بالعطورِ والزهور
يختال فوق صهوةِ الجواد؟!
وأين يا حبيبتي غناءُ شاعرِك؟
قد سال بحرُه منغمًا من بسمتِك
وأين يا حبيبتي يمينُ عاشقٍ
أتاك يسبق الرياحَ كي يُرَى بجانبك

***

خُدعت يا حبيبتي
بكت بكفِّك الجراحْ
وارتوت بدمعكِ السفوحُ والجبال
ناحت رمالُها
في ليلة الحداد حين زارها دمُك
شكت سهولُها
لوطأة البغي يستبيحُ حرمتَك

***

حبيبتي بلادي[1]
نسيتِ في موائد الثناء
سيدًا تعشّقَ الفداء

(1) أضفت هذه الجملة لاستكمال الموسيقى..وأضافها أبو مازن عند إنشاده القصيدة وجعل هذا الشطر كله مقدمة لها بل ونهاية.

الموت عنده حياة
أحب دائمًا أن ترفع الجباه
وكِـفةُ الكلام عندَه
نصف كفة العمل
أحب أن يراك مسجدًا
مقـدسًا ثراه
لا يُـنال تربُه
نسيـتهِ مقيدًا
شُغلت عنه بالبريق
من سيطفئ الحريق غيرُهُ
ومن سيمسح الجراحَ
إن جهلت سرَّهُ

***

الرعبُ يسبق الخطى لخَصمه
وألفُ سهمٍ للصدور
تقـتدي بسهمه
وحفنة الرمال من يديه
تملأ العيون بالعمى
وسيفه بريقـُه صواعقٌ
ستحفظ الحمى

***

حبيـبتي
ولم تزل في أفْـقنا بَقيَّةٌ من الرجاء
حطِّمي قيوده
لتحتمي بسربه

لتصنعي حياتنا به
لتسمعي دعاءَه.. بكاءَه
يستمطر السماءَ زَادَهُ.. ونَصْرَهُ
ويستغيث ربَّــهُ
فحطِّمي قيوده

رجب جمادان رمضان محرم

* * *

لحظة الوصال

في الحادية والعشرين من عمره القصير كتب الشيخ هذه القصيدة المفعمة بالحب الإلهي، التي يمتزج فيها الرمز الصوفي، بالطبيعة الموحِّدة، بالهمة العالية، والصدق العقيدي الذي يملأ جوانح شابٍ بلا صبوات، يحسن التعبير عن تدينه وحبه لله، بطريقة غريبة - في هذه المرحلة - على الأزهر، والشعر الإسلامي، والتيارات الصوفية، والجيل، والمرحلة! بل هي خطاب استشرافي، وقراءة من الشيخ لمستقبلٍ سيعيش حلاوته ومرارته، محبًّا لله، راضيًا عن الله، طامعًا في الله، متعجلاً لقاء الله!

سنذوب سيدي في لحظة الوصال
سَنَمَّحِي
سينتهي السؤال
ستهدأ الودائعُ التي في داخل الصدور
ستستقر في مرافئ الأمان
بعد رحلة الضنى
ستكشف الستور
سيظهر المخبوءُ عن شواهد العيون
وعند ذاك سيدي
وعند ذاك
تمضي بنا الرياحُ في كلِّ اتجاه [1]
ونركب النجوم في تَجوالها الغريب
في مسيرةِ الضياء
وتختلي مع الذي لم يعرفِ الملل

(1) يرى الشاعر عبد الله رمضان أن الوزن هكذا مكسور وصحته استبدال (كل) بـ (كلما).. وأبقيت ما سجله الشيخ رحمه الله.

ورغم قسوة الظـلام حولَـهُ اكتمل
نطير في سحابةٍ مسافرة
في رحلةٍ لم تعرف البشر
ونرقب الغِرِّيدَ حالمًا مسبحًا
في قمةِ الشجر
ونستريحُ عند شاطئِ الجليد
في مغارةٍ بيضاء
تذيبها حرارة النظر

***

مشتاقـةٌ إليك سيدي جوارحي
مشتاقةٌ إليك في القلوب لمحةٌ
محتاجةٌ من نورك الفياضِ
بعضَ ما يَبُـلُّ غُلـةَ الظما
تشققت في الصدر سيدي مواطنُ الزروع
بعضَ الندى
أو قطرةً من المطر
تردُّ قصة الحياة
حتى يحين موعدي مع اللقاء
وعند ذاك سيدي
وعند ذاك
سينتهي السؤال
نذوب سيدي
في لحظة الوصال

هُوَ ذاك

مشهد مسرحي قصير، يدين الأوامر الفوقية بالقمع، وقطع لسان كل من يفكر أن يكون حرًّا، ولا يعفي المستترين وراء نعالهم من المسؤولية!

– هو ذاك سيدي

– ذاك النحيل؟

فلتقتلوه

لا.. الموت راحةٌ.. فعذبوه

ومزقوا بشهوة السياط عزتَـهْ

وحرِّقوه

لا ترحموه

وراقبوا الطبيب

والشارةَ الحمراء والسوداء في يده

يـأيها الطبيب

يا دُمْيةً تهشَّمت

فلتُحْضِرِ الدواء

ولتختفِ الجراحُ بالجراح

يـأيها المسوخُ مزقوه

ذاك الذي أراد أن يكون سيدًا

في حانة العبيد

* * *

قصائد لم تنشر:

أنوار الروضة (1)

أنــوارُ الروضــةِ تغــشى العــينَ.. وتــــــسكب في قلبـــــي سرا
وكـــأن الجنـــةَ قـــد فُتِحَـــتْ فـــإذا الأنفـــاسُ بَـــدَتْ عطـــرا
والـــــروح تحلـــــق طـــــائرةً فالليـــل هنـــا يغـــدو فجـــرا

***

الجنـــــة غيـــــبٌ نـــــشهده والقلـــب يمـــد لنـــا بـــصرا
يـــا خـــير الأرض: لـــك البـــشرى أمجـــادك لم (تُغْفِـــل) فخـــرا

***

فهنـــــا آثـــــارُ معلمِنـــــا كـــم صـــعد المنـــبرَ كـــم مـــرَّا
وهنـــا قـــد ســـار.. وقـــد صـــلى وهنـــا قـــد ســـجد.. وقـــد نظـــرا
كـــم رتـــل آيـــاتِ القـــرآنِ وأهـــدى مـــن فَمِـــه عِـــبَرا؟!
لم يـــزل الـــصوتُ يعلمنـــا والروضـــة قـــد حفظـــت أثـــرا
وثـــمار الهَـــدي بهـــا تزكـــو مـــا أحـــلى الدوحـــة والثمـــرا!

***

ويحـــن القلـــبُ حنـــين الجـــزعِ أبـــان الحـــبَّ ومـــا ســـترا
ورســـــولُ الله يـــــسكِّنهُ مـــا احتمـــل الجـــزعُ ومـــا صـــبرَا
قـــد سَـــعِدَ الجـــزعُ بـــضمته واحتمـــل البعـــد إذا قُـــدِراَ

***

(1) نقلتها من إلقائه عن أحد برامج التليفزيون في الإمارات، وقد وضعت (تغفل)، مكان كلمة : (تبقى) لأنها لحن جلي، ولا تصح نحوًا.. وكذا غيرت (ما زال) إلى (لم يزل) لتصح لغة ، والله أعلم عبد السلام.

يـــا روضـــةُ: أيقظـــتِ الأشـــواق ... فأضـــــحت في فمنـــــا ذِكَـــــرا
فبكـــل مكـــان فيـــك هـــوىً ... يبعثـــــــه الحـــــــب إذا أسرى
كـــم عـــينٍ فيـــك بكـــت شـــوقاً ... وقلـــوبٍ قـــد هتكـــت سِـــتْرا
وهنـــــا الأحبـــــاب مـــــواكبهم ... تتـــــابع أمـــــواج تـــــترى
قـــد جـــدوا الـــسير.. ومـــا وهنـــوا ... مـــن ســـفرِ طـــال ومـــا قَـــصُرَا
فـــالحزن هنـــا يعْـــدو فرحًـــا ... والـــــسُقْمُ بأعتابـــــك أَسِرا
واللحظـــة في تلـــك الروضـــات ... تـــساوى عمـــرًا بـــل دهـــرا

* * *